وزارة الثقافة

الهيئة العامة السورية للكتاب

ديوان المراثي

شعر

عبد الرزاق عبد الواحد

من الشعر العربي ١٨٦



ديوان المراثي



عبد الرزاق عبد الواحد

ديوان المراثي

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٠



من الشعر العربي

«١٨٦»



يا شيخَ غُربَتِنا

في رثاء الشاعر أحمد الصافي النَّجفي



هـذي مَحطَّاتُنـا، فامـشي علـى مَهَـلٍ
نُلقـي علـى بعـضِنا تَـسآل مُرتَحِـلِ

تحيَّـــةً ربَّمـــا.. وَجـــداً نكابـــدُهُ
تَعِلَّـــةً.. نظـــرةً مُبتلَّـــةَ المُقَـــلِ

نقـــولُ شـــيئاً، وَنَـــدري في طَويَّتِنـــا
أنّـــا عَثرْنـــا، وأنَّ القـــولَ لـــم يُقِـــلِ

وأنـتِ يـا خُطـوةً تَخـشى هَواجِـسَها
هـذا طريقُـكِ مهمـا تُبطِئـي تَصِلِي!

هـذي مَحطَّاتُنـا.. تَطـوي الحيـاةُ بنـا

مَفازَهــا بــين مَخــضوبٍ ومُــشتَعِلِ

شــتَّى.. مَــداراتُنا شــتَّى.. مَرافئُنــا

شــتَّى، نَمُــرُّ بهــا مَــرَّاً علــى عَجَــلِ

مُحــاذرينَ الرِّضــا أن يَطمــئِنَّ بنــا

كــيلا نُقــايضَ لَفْــحَ النّــار بالبَلَــلِ!

حتى إذا صاحَ فينا صائحٌ شَخَصَتْ

منّــا العيــون، ولاذَ الــسَّهلُ بالجبَــلِ

ونلتقــــي وعنــــانٌ مــــن أعِنَّتِنــــا

ألــوَتْ بــهِ فكَبــا دوَّامــةُ الأجَــلِ

أولاءِ نحــنُ علــى عِلاَّتنــا سُــدُمٌ

مَزروعـةُ العـينِ عنـدَ المعبَـرِ الجَلَـلِ

حتـــى إذا شـــقَّ لمَّـــاعُ مَفازَتَـــهُ

آلَــتْ مَنــابعُ عينيــهِ إلــى وَشَــلِ!

يــا شــيخَ غُربَتِنــا، لــولا مُكــابرةٌ

تُميتُنــا، لـم نُـلاقِ الـرِّيحَ بالأسَـلِ

ومــا ادَّعــى مُـدَّعينا أنَّــهُ بطَــلٌ

لكنْ يمـوتُ علـى أُسـطورةِ البطـلِ!

* *

يــا شــيخَ غُربتِنــا، تبقــى تُعلِّمُنــا

حيـاةُ مثلِـكَ معنـى المـوتِ في القُلَـلِ

معنـى التَّفَـرُّدِ.. معنـى أن نَمُـجَّ دمـاً

ولا نمـوت.. ونستَعصي علـى الكَلَـلِ

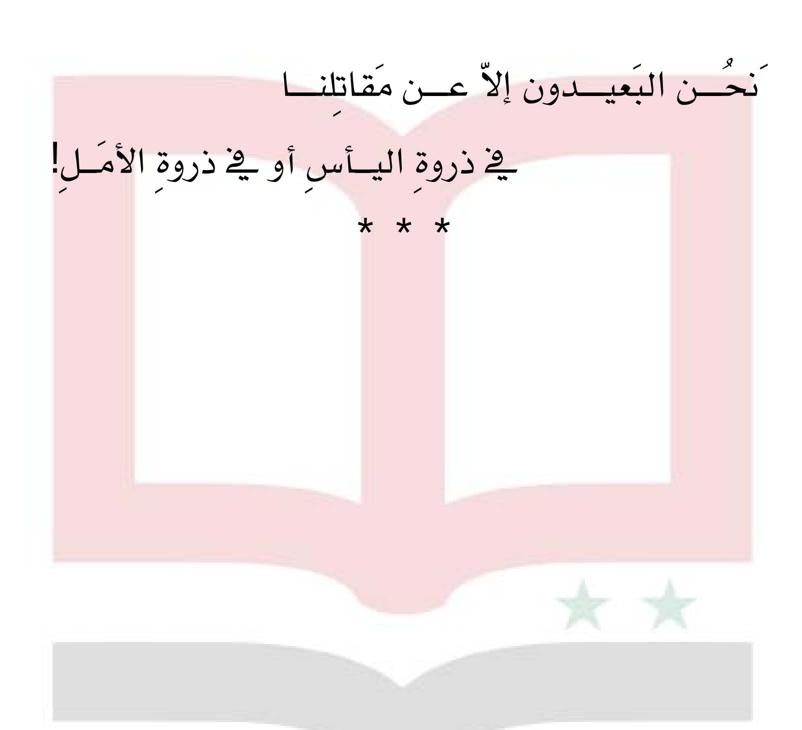
هــذي مَقاديرُنــا، نبقــى نُـصرِّفُها

كمـا جُبِلْنـا، فتَطوينـا علـى عَجَـلِ

نَحـُــن البَعيــدون إلاّ عــن مَقاتِلنــا

في ذروةِ اليـأسِ أو في ذروةِ الأمَـلِ!

* * *




الهيئة العامة
السورية للكتاب



تنهضُ بين الحقائق

في رثاء الشاعر حسين مردان



مُتعَباتٌ خُطاكَ إلى الموتِ

مَهمومةٌ

يا حسينَ بنَ مردان

لكنْ تُكابرُ

أيقَظْتَ كلَّ المَلاجيءِ

فانهزَمَتْ

مَنْ يشاركُ مَيْتاً منيَّتَهُ يا بنَ مردانْ؟

مُنجرِداً وحدَكَ الآنْ

يُحشَرُ هيكلُكَ الضَّخْمُ في ضَنْكةِ الموتِ حَشراً
وأنتَ تُكابرُ
كلُّ المياهِ تَعَثَّرتَ فيها لِتُطفيءَ خَوفَكَ
فاشتعَلَتَ

موحَشاً كنتَ
مُستوحَداً
تَتَنازلُ عن كلِّ أرقامِكَ المُستباحةِ
تُسقِطُها
واحداً
واحداً

الطريقُ إلى الصِّفرِ مُعجزةٌ يا بنَ مردان
أن تَملِكَ الدَّربَ وحدَكَ

تَمتلكَ النَّدمَ المتَفَرِّدَ وحدَك
أن تلتقي والذي خفِتَهُ العُمر..
تَدخلُ دهليزَهُ

إنَّها لَحظةُ الكَشْفِ
وَحدَكَ تَملكُ أن تَسمعَ الآن
وحدَكَ تَملكُ أن تَتَقرَّى
ووَحدَكَ تُبصِر

تَعلَمُ وَحدَكَ إن كان للخَطوِ مُرتَكَزٌ
حين يَفتَقدُ المرءُ أقدامَهُ
حين يَفتَقدُ الأرض
تلك خصوصيَّةُ الموت
تَملكُها الآنَ وحدَكَ

تحبو إليكَ المجاهيل
تنهَضُ بين الحقائقِ
عُريانَ
منخَلِعاً عنكَ كلُّ ادِّعائِك

إنَّ الطريقَ إلى الصِّفرِ مُعجزةٌ
إنَّهُ الخوف

عُمرَكَ وَطَّنْتَ نفسَكَ أن تألَفَ الخوف
لكنَّ حجمَ الذي أَنتَ فيهِ
يُحَطِّمُ كلَّ القياسات
يُسقِطُ كلَّ المَعابِرِ حيثُ التَفَتَّ
سوى معبَرٍ يَشرئبُّ إلى يوم كنتَ صغيراً

تلوحُ بهِ

حافَّ القدَمين

مُهَدَّلَةً ياقَةُ الثَّوبِ منكَ

تَمرُّ عليهِ الوجوهُ التي

والسِّنينُ التي

والنِّساءُ اللواتي..

وتأتي حسينَ بنَ مردان

مُنْسَدِلَ الشَّعرِ للكتفَين

عَصاكَ الغَليظةُ تَضربُ بين ديالى وبغداد

تَصعَدُ معِراجَ قوسِك

كانتْ عَموديَّةَ المُرتَقى كلُّ أقواسِنا يا بنَ مردان

تَذكرُ كيفَ تَقَبَّلَنا الموت؟

أسماؤنا كلُّها ذاتَ يومٍ عَقَدْنا على شجَرِ الموتِ أجراسَها

وانتَظرنا الرِّياح

وكانت تَهبُّ الرّياح

تَهبُّ..

أكُنَّا نُبالغُ؟

أَم أنَّها سَنواتُ البطولَةِ

يَنكسرُ المرءُ من بَعدِها سُلَّماً

ثمَّ يَزحفُ للخوفْ؟

تَذكُرُ كيف تَقبَّلَنا الموت؟؟

ما تَصفِرُ الرّيحُ
إلاّ ويَسمعُ واحدُنا رَنَّةً باسمِهِ
ثمَّ يمضي

ولكنَّها سنَواتُ الرِّضا يا بنَ مردان
البَشَرُ الماءُ
يَعقدُ أجراسَهُ في مَهبَّاتِ كلِّ الرّياح
ويَختبيءُ الجرَسُ الموتُ
أصغرُ أجراسِهِ الجرَسُ الموت

أفنَيتَ عُمرَكَ تُحكِمُ تَعليقَهُ
وتُوَسِّعُهُ
ثمَّ تُوسعُ حِملاقَ عينيكَ فيهِ
فتفزَع..!

ماذا جنَيتَ ابنَ مردان؟
طفلاً لَهَوتَ بدُميةِ عُمرِكَ
طفلاً سَئِمتَ، فحَطَّمتَها
حُلُماً كان أن تَشتري بَدلةً
حُلماً عشتَ أنْ صرتَ مُستَوظَفاً
حُلماً أن غدَوتَ
ولو مَرَّةً
دائناً لا مديناً

ولكنَّه يا بنَ مردان دَقَّ
ولم تَتَّسِخْ بَعدُ أكمامُ بَدلتِك الحُلم
دقَّ
ومازال دَينُكَ

ما حانَ مَوعدُ إيفائِهِ

دقَّ ناقوسُ موتِكَ
يا أيُّها الإمبراطور(*)
يا أيُّهذا الموظَّفُ من قبلِ شهرَين..

* * *

(*) كان يحلو لحسين مردان أن يسمي نفسه دائماً «إمبراطور الأدب» .

غَرَقُ الطُّوفان..

شهقةٌ على جثمان العالم العراقي

الكبير الدكتور عبد الجبار عبد الله



وانسابَ في صَمتٍ، وفي جَلالْ
تَلفَّتَتْ تسألُ عن مَنبعِهِ الجبالْ
أيُّ ذُراها؟..
رَفعَتُ رؤوسَها الأهوارْ
وابتَسمَتْ،
رَنَتْ إليه في اعتزازٍ
أجهَشَتْ
وظَلَّ ينسابُ مَهيبَ الموج
في صمتٍ

وفي جلالْ

مُعمِّقاً مَجراهْ

مُغالِباً مَجراهْ

مُتَّسِعاً فاضَ على مَجراه

ثمَّ استَقَرَّ حيثُ لا تضطربُ المياهْ

وحيثُ لا تختلفُ المياه..

ماءٌ ولا جَفافْ

لم تَثِب العيونُ عَبْرَهُ إلى ضِفافْ

الأرضُ كلُّها غَذَتْهُ،

احتَضَنَتْ مَسارَهْ

تَرصَّدتْ مَدارَهْ

أعطَتْهُ

لم يأخذْ،

وأعطى كلَّ ما لَدَيهْ
لم يَسبِروا قَرارَهْ
لكنَّما رَوائحُ العِماره.. (*)

حَياتُهُ..
كأنَّما ضياءْ
أنجَبَهُ احتراقْ
أرضَعَهُ احتراقْ
وَهَجَهُ احتراقْ
أطفأَهُ احتراق

أغفى

(*) العمارة: مدينة في جنوب العراق، ولد فيها عبد الجبار عبد الله، وعاش طفولته وصباه.

تَعَرَّتْ شَهقَةٌ تَملأُ عينَيهِ

تَلوبُ

تَطرقُ الأبوابْ

تَستَصرِخُ الوجوه،

تَستَشهدُ،

تبكي،

تَذبحُ الأهدابْ

وأفلَتَتْ مَروعَةً تحملُ عينَيهِ،

تكادُ تَشربُ العراقْ

تطوي المسافات،

تَذودُ الموتَ،

تَعدو

تَشربُ العراقْ

وانكَفَأتْ..

تَدَحرجَتْ عيناهُ رَطْبَتَين
واستَقرَّتا في تربةِ العراقْ..

وَطأطأتْ رؤوسَها الأهوارْ
وأجهَشَتْ على ضِفافِها حَناجرُ القصَبْ

تأمَّلَتْهُ وهو يَنسابُ بلا شُطآنْ
يَدِفُّ حَولَهُ ضَبابٌ هائلُ الأكفانْ
وتابَعَتْهُ..

غامَ في أحداقِها الأمسُ،
تَناءى
تابَعتْ أحداقُها المَجرى
هَمى الأمسُ رذاذاً

عينُها مَشدودةٌ عَبْرَ رَذاذِ الأمس

المَجرى ضَبابٌ هائلُ الأكفانِ يَنأى

انهَمرَ الغَيثُ عَنيفاً

غَرِقَتْ أَحداقُها في الأمسِ،

غامَتْ

تابَعَتْهُ

تابَعتْهُ

تابعَتْ.....هُ

جَدوَلٌ صغيرٌ

يوشوِشُ الأمواجَ في شواطيءِ العِماره

مُستوحِداً نَحيلْ

مُنسَرِباً بين جذورِ العُشبِ والنَّخيلْ

يؤنِسهُ خَريرهُ..

وتابَعَتْهُ

تَابَعَتْهُ

تابعَتْ..

تذكَّرتْ طفلاً يَتيماً حافيَ الأقدامْ

على يَدَيها نامْ

يرتَعشُ الشِّتاءُ كلُّهُ بِرُكبتَيْه

يَندَسُّ في عظامهِ

يَجمدُ في يدَيه

فينحني عُوداً على كتابِهِ الصَّغيرْ

وزَخَّتْ الأمطارْ..

تَذكَّرتْهُ يافِعاً

صامِتةً خُطاهْ

واسعةً خطاهْ

تذكَّرتْ كم شَرِبَتْ عيونُها خُطاه

حتى غابَ في الضّياءْ

وحولَها حناجرُ القصَبْ

تَشهَقُ بالدُّعاءْ

وانسابَ نحوَها يَنابيعَ من الضياءْ

عادَ إلى وديانِها سَماءْ

عاد إلى شُطآنها سَماءْ

عاد إلى أحضانِها بَحراً من الضّياءْ

وادِعةً خُطاهْ

ثابتةً خُطاهْ

هائلةً خُطاه

فَزَغرَدَتْ كلُّ شِفاهِ القصَبْ

واحتَضَنَتْهُ،

قَبَّلتْ خُطاه

وزخَّتْ الأمطارْ
عَنيفةً
ثمَّ تَلاشى الغَيمُ
شَفَّ
اغرَورَقَتْ أحداقُها بالضَّوء
ذابَ الأمسُ
شَفَّ
ابتَلعَتْ دموعَها الأهوارْ
ثمَّ أَفاقتْ..

كان يَنسابُ بلا شُطآنْ

يَدِفُّ حَولَهُ ضَبابٌ هائلُ الأكفانْ
أمواجُهُ تَعثَرُ بالضَّبابْ
أضواؤهُ يَشربُها الضَّبابْ
يَنسابُ في الضَّبابْ
يَنسابُ..

لا شيءَ سوى الضَّبابْ..

حينَ تَمرُّ الرّيحُ في شَواطيءِ العِمارَه
يَصعدُ مِن حَناجرِ القصَبْ
يَنثالُ من ذَوائب النَّخيلْ
صوتُ نداءٍ يُشبهُ العويلْ:

أوحَشْتَ عبدَ اللّهْ
صَوَّحتَ عبدَ اللّهْ

يا والدَ الطُّوفانْ

قد غَرِقَ الطُّوفانْ

لا نِمْتَ عَيناً

غَرِقَ الطُّوفانْ

لا نِمْتَ عبدَ اللّه

لا نِمتَ عبد اللّه

لا نِمت..

* * *



يا وارفَ الظلِّ

في عبد الجبار عبد الله

عـام ١٩٩٣


الهيئة العامة
السورية للكتاب

ذكـراكَ، واللَّيـلُ، والأمطـارُ، والـسُّحُبُ
وصَـوتُ مِـزرابِ جـاري وهـوَ يَنتَحِـبُ

وَوَحـشَةُ المـوتِ، والنَّجـوى، ومَكتَبَتـي
وأنـتَ مثـلَ انـسِرابِ النُّـورِ تَـسَرِبُ

كأنَّمـا مِـن ضَـميرِ الغَيـبِ تَـسأَلُني
مـاذا سَـتَنفَعُكَ الأوراقُ والكُتُـبُ؟!

لابـأسَ.. أدري بـأنِّي بـالِغٌ أجَلـي
أبـا سِـنانٍ.. وأنِّـي مُـوحَشٌ، تَعِـبُ

مُـستَنزَفٌ.. وشَـراييني، وأورِدَتـي
دَمـي بِهـا كالتِهـابِ الجَمـرِ يَلتَهِـبُ

أدري، وأدري بـأنَّ العُمـرَ مِـن قَلَمـي

مثلَ المِدادِ على القِرطاسِ يَنسَكِبُ

وأنَّ قلبيَ مِن وَجدٍ، ومن قَلَقٍ

وَجيبَ جِنْحِ القَطا في أضلُعي يَجِبُ!

هَل عِشتَ إلا لهذا؟.. أو لأنبَلَ مِن

هذا؟ فَأيَّ اضطرابٍ كنتَ تَضطربُ؟!

أنتَ الذي كنتَ عُوداً لا وِقاءَ لَهُ

مثلَ السَّنابِلِ، إلا حَبُّهُ الرَّطِبُ!

أعطى لها عُمرَهُ، حتى إذا نَضَجَتْ

ألوَتْ بِها الرِّيحُ، والتاثَتْ بها التُّرَبُ!

طُوباكَ.. في كلِّ أرضٍ مِنكَ سُنبُلَةٌ

وَنَجمَةٌ.. وَنُهَيْرٌ ماؤهُ عَذِبُ!

يــا وارِفَ الظِّــلِّ.. يــا نَبْعــاً جَداوِلُــهُ
قلــبُ العِمــارَةِ في شُــطآنِها يَثِــبُ!

نَيِّــفٌ وعــشرونَ مَــرَّتْ وهــيَ والِهَــةٌ
يَبكــي بأهوارِهــا البَــرديُّ والقَــصَبُ!

اللهُ.. في لحظَــةٍ كيــفَ انطــوى وَهَــوى
العِلــمُ، والحِلــمُ، والأخــلاقُ، والأدَبُ؟!

وكيــفَ أهلُــكَ مــا مــادَتْ منــازِلُهُم
كــأنَّهُم مــا رأوا هَــولاً، ولا نُكِبــوا

وكيــفَ لِــلآن لا يَــدرونَ عنــكَ سِــوى
أنَّ ابــنَهُم عــالِمٌ، قبــلَ اسـمِهِ لَقَــبُ!

أمّــا النُّبــوءَةُ.. أمّــا مــا نَــذَرتَ لــه
شَــتاتَ عُمــرِكَ حتــى شَــفَّكَ العَطَــبُ

شَفَّاً.. وحتـى نَشَرتَ الـرُّوحَ أشـرِعَةً

والليـلَ بَحـراً، ورَكـبُ المـوتِ يَقتَـرِبُ

وأنـــتَ تَختَـــصِرُ الأبعـــادَ هائِلَـــةً

وقَـد تَلاقَـتْ علـى راحاتِـكَ الـشُّهُبُ

فَمـا لَهُـم حِـصَّةٌ فيـهِ، فَعِنـدَهُمو

لا يَحكُـمُ العِلـمُ لكـنْ يَحكُـمُ الـذَّهَبُ!

وعنـدَهُم لـيسَ لِلأحـلامِ مِـن سَـبَبٍ

لكـنْ لأصـغَرِ رِبْـحٍ عنـدَهُم سَـبَبُ!

وأنـتَ تَحلَـمُ.. أترَعْـتَ الـدُّنا حُلُمـاً

حتـى لَكـادَتْ تَهـاوَى دونَـكَ الحُجُـبُ

وجـاءكَ المـوتُ.. هـا أهلـوكَ.. لا

ولا اسـتُفِزُّوا، ولا رِيعُـوا، ولا رُعِبُـوا

يُعَلِّلُــونَ بِهـــذا الحَفَــلِ أنفُـــسَهُم

أنْ قَدَّموا لكَ باسمِ النّاسِ ما يَجِبُ

وأنــتَ تَــدري بــأنَّ الــدّارَ تَــسكُنُها

بِيعَتٌ، وقبرُكَ هذا.. مُوحِشٌ، خَرِبُ

وأنَّ كـلَّ الــذي أبـدَعتَ مِـن غُــرَرٍ

لِلعِلـمِ، تَحــتَ الغُبــارِ الآنَ يَحتَجِــبُ

قُلْ لي إذن سيِّدي.. هل أنتَ مَيِّتُهم

أم الــذين تُوُفُّــوا أهلُــكَ النُّجُــبُ؟!

وهَل كَبُرتَ بِهِم؟.. أم هُم كَعَهدِهِمو

كَبيــرُهُم بَيــنَهُم عُريــانُ مُــستَلَبُ؟!

أيَعلَمــونَ بــأنَّ التُّــربَ تَــسكُنُها

يومـاً لَهـا يَتَمَنَّـى الـنَّجمُ يَنتَـسِبُ؟!

وأنَّ كـــلَّ نَهـــارٍ ضَـــيَّعوكَ بِـــهِ
أولادُهُــم عَنَــهُ يَومــاً مــا سَــتَحتَرِبُ

وأنَّهُــم.. بَينَمــا تَبقَــى تُــضيءُ لَهُــم
سَــيَذهَبونَ.. فَــلا نَبْــعٌ، ولا غَــرَبُ

لا مــالُهُم.. لا مَتــاعٌ يَزدهُــونَ بِــهِ
يَبقى.. ولكنْ سَيَبقى وَجهُكَ الحَدِبُ!

يــا جَـذوةَ العِلـمِ.. يـا أعلـى مَراتِبِـهِ
إذا اســتُفِزَّتْ بِــهِ الألقــابُ والرُّتَــبُ

هـل أنـصَفَتكَ مَراقـي العِلـمِ كنـتَ لهـا
مؤسِّــساً، عُمــرَهُ يُعطــي ويَحتَـسِبُ؟!

أم أنَّهــا أنكَــرَتْ بــاني مَــدارِجِها

وَمَــن قَـضى عُمــرَهُ فـيهِنَّ يَغتَــرِبُ؟

إذن فَمَــن ذا سَيُعطي الأرضَ رَونَقَهــا

أبــا سِــنانٍ إذا مــا أهلُهــا ذهَبــوا؟

ومَــن يَعيــدُ إلــى الــدُّنيا مروءَتهــا

إذا بَنُوهــا علــى آبــائِهِم شَــغِبُوا؟

وكيــفَ نُمــسِكُ بــالميزانِ نَرفَعُــهُ

إن لــم نَكُــنْ بِنِقــابِ الحَــقِّ نَنتَقِــبُ؟

إذا كَفَــرتَ بِثَــديٍ كنــتَ تَرضَــعُهُ

فــأيُّ شــيءٍ عليــهِ لَــستَ تَنقَلِــبُ؟!

أبــا سِــنانٍ أرانــي مُوقِظــاً وَجَعــي

ومـــا لـــيَ الآنَ في إيقاظِـــهِ أرَبُ

لكنَّـــهُ لِمَـــصَبٍّ أنـــتَ تَعرِفُـــهُ
يَجـري، ونحـنُ كِلانـا فيـهِ نَـصطَحِبُ

أنـا بِـهِ مَحـضُ إنـسانٍ.. وكنـتَ بِـهِ
قِـدِّيسَ عَـصرٍ تَلاقَـتْ حَولَـهُ النُّـوَبُ!

عُـذراً إذا كنـتُ أُدنـي منـكَ مَجمَرتـي
أبـا سِـنانٍ، وأنـتَ الهـادِيءُ العَـذِبُ

أنـتَ الـذي مـا دَرى يَومـاً مُحَدِّثُـهُ
عَـن هَمِّـهِ، أيُّ جُـرحٍ منـهُ يَقتَـرِبُ

وأنَّ هـذا الـذي يُـصغي بِـلا ضَـجَرٍ
إليـــهِ، أوجاعُـــهُ أُمٌّ لَـــهُ وأبُ!

فَإن أكُنْ هِجتُ جُرحي فهوَ منكَ ذِماً

ألـيسَ يَجمَعُنـا مِـن جُرحنِـا نَـسَبُ؟!

أنعِـمْ مَـساءً، وَطِـبْ نَفـساً بأفرُخِنـا

أبـا سِـنانٍ.. لَقَـد غَطّـاهُمُ الزَّغَـبُ

ونــسألُ اللّه، إن طالَــتْ قَــوادِمُهُم

وأبعَــدَتْ عــنهُمُ أهوالَهــا الرِّيَــبُ

أن يَهتَـدوا لِمَـسارِ النُّـورِ سِـرتَ بِـهِ

وَكُلُّهُــم بِــشُعاعٍ مِنــكَ يَنجَــذِبُ!

* * *


الهيئة العامة
السورية للكتاب



يا أيُّها القدّيس
يحمل صمتَـهُ حملَ الآذانِ!

في ذكرى عبد الجبار عبد الله

عام ١٩٩٥


الهيئة العامة
السورية للكتاب

هـــذا أوانُـــكَ لا أوانـــي   ورِهــانُ مجـدِكَ لا رهــاني

وصَــداكَ أنــت المــاليءُ الــدُّنيا.. فمــا جَــدوى بَيــاني؟

مَرمــاكَ أوسَــعُ مِــن يَــدي   وَثَــراكَ أبلــغُ مــن لــساني

وسَــــناكَ أبعَــــدُ في المـــروءةِ أن أَراهُ، وأَن يَرانــــي

وَحــضورُكَ البــاقي.. وكــلُّ حــضورِ مَــن وَلَــدوكَ فــاني!

يــا مَــن لَــهُ كــلُّ المكــانِ   ولــيس يَملــكُ مِــن مكــانِ!

هـــذا أوانُـــكَ لا أَوانـــي   وَدنِـــانُ عُرسِـــكَ لا دِنـــاني

فـــإذا أتيتُـــكَ زائـــراً   فاعذُرْ رَفيفَ هَوىً دعاني

في كـــلِّ عـــامٍ يَـــشرئبُّ   دمـــي إليـــكَ أبـــا سِـــنانِ

لـــي مهرَجـــانٌ فيـــك يَبـــدأُ   قبـــلَ بَـــدءِ المهرجـــانِ!

ويَهيـــبُ بـــي مَرقـــاكَ.. أصـــعَدُهُ، فيَعثَـــرُ بـــي عِنـــاني

مَبهـــــــورَةً أنفاسُـــــــهُ   مـــا بـــين زَهـــوٍ وافتِتـــانِ

يـــا أيُّهـــا القـــدّيسُ يَحمـــلُ صَـــمْتَهُ حَمـــلَ الأذانِ!

وتـــدورُ عُمْـــقَ الكَـــونِ أنجُمُـــهُ.. ونَحـــسَبُها دَوانـــي!

وأقـــولُ قـــد ألقـــاكَ.. قـــد   يَرضـــى زمانُـــكَ عـــن زمـــاني!

فـــأراكَ.. ألمَـــحُ مقلَتَيـــك   علـــى كتابِـــكَ تَحلُمـــانِ!

وأرى لجــسمِكَ وهــو مثــلَ الطَّيــفِ.. يعبــرُ في ثَــواني

فَــأُحِسُّ كــلَّ مُــروءةِ الــ دنيــا تُغَلغِــلُ في كيــاني!

وأُحِــسُّ ضَــوءَكَ وهــو يَملــؤني، وَيمــسَحُ مِــن دُخــاني!

ويُعيــدُ لــي صَــفوي.. وَيمنَحُنــي شَــجاعةَ أَن أُعــاني!

عُــذْرَ اليَــراعِ أبــا سِــنانٍ إنْ تَلَجْلَــجَ في بَنــاني

أنــا كلَّمــا لامَــستُ عالَمَــكَ الوَديــعَ بِعُنفــواني

أحسَــسْتُ أنَّ علــيَّ أنْ أُغضي، وأخلَعَ صَولجاني!

فأَنــا أمــامَ سَــنىً كــأنَّ اللّهَ شــاءَ بــهِ امتحــاني

وأمــام خُلُــقٍ مــا رأيــتُ لــهُ بهــذي النّــاسِ ثــاني

يــا أنبَــلَ الــدُّنيا، وأحلَمَهــا.. ويــا ثَبْــتَ الجَنــانِ

إنّـــي رأيتُـــكَ والحتـــوفُ   مـن الـسِّنانِ إلـى الـسِّنانِ!
جَمَّـــاً هـــدوؤكَ والفحـــولُ   يَؤودُهـــا جَـــذْبُ العِـــرانِ!
في قلـــبِ عاصـــفةٍ وأنـــتَ   علـى شُـحوبِكَ، كاليَمـاني!
تُحصي مَواقِـعَ أصـدقائِكَ   بالـــــدَّقائقِ والثَّـــــواني!

مِـــن أيِّ مائِـــكَ وهـــوَ ثَـــرٌّ   أســـتَزيدُ أبـــا سِـــنانِ؟
ســـأنِثُّ قـــافيَتي.. عَـــساني فيـــكِ أطمُـــشُها عَـــساني!(*)
فـــأقولُ جئـــتُ مُحـــاولاً   أَكـــسوهُ.. هـــا هـــوَ قـــد

قـــالوا.. وأنـــتَ تَمـــوتُ.. كانـــت مُقلَتـــاكَ تُرَفرِفـــانِ
كحَمـــامَتَين غَـــريقَتَينِ   عـــن العِمـــارةِ تَبحَثـــانِ!

(*) أطمشُها: كلمة مندائية معناها «أعمّدها».

وبَقِيــــتَ حتـــى آخـــرِ الأنفـــاسِ تَلهَـــجُ فيْ حَنَـــانِ
لـــو نَـــسمَةٌ هَبَّـــتْ بقَلعَـــةِ صـــالحٍ لـــكَ بالأمـــانِ![*]
لـــو نَهرُهـــا نـــاداكَ آخِـــرَ مَـــرَّةٍ.. والـــشّاطِئانِ
لـــو طوَّقـــاكَ فَنِمـــتَ فيْ حُضنَيهِما والفَجـرُ دانـي!
فتَـرى إلـى شـمسِ العـراقِ ومُقلتـــاكَ تُحَـــدِّرانِ!
مـــشبوبةٌ هـــي فيْ الميـــاهِ وأنـتَ مـشبوبُ المَحـاني!

عُـذْرَ اليَـراعِ أبـا سـنانٍ إنْ بَرَيْـتُ، وإن بَرانـي
أنـا فيْ رِحابِـكَ والعيـونُ جَمـيعُهُنَّ لَنـا رَوانـي
شَمـسانِ مَنـدائيَّتانِ بكـلِّ حُـبٍّ تُـشرِقانِ!

(*) قلعة صالح: قضاء من أقضية ميسان عاش فيها عبد الجبار عبد الله طفولته وصباه.

تَهَبــــانِ للبَـــشَرِ الغَـــضارَةَ، والمَحبَّـــةَ، والأمـــاني

وبكــلِّ مــا يُغَنّــي الهَــوى   جَرَيــانَ دَجلــةَ تجريــانِ!

فبـــأيِّ آلاءِ الـــذي   أعطَيتُمـــاهُ يُكـــذِّبانِ؟!



يا شيخَ شعري

في رثاء الجواهري

كتبت في اليوم الثالث لوفاته


الهيئة العامة
السورية للكتاب

لا الــشِّعرَ أبكيــهِ، لا الإبــداعَ، لا الأدَبــا
أبكــي العــراقَ، وأبكــي أُمَّتــي العَرَبــا

أبكــي علــى كــلِّ شَــمسٍ أهــدَروا دَمَهــا
وبَعــدَما فَقَــدوها أســرَجُوا الحَطَبــا!

أبكــي علــى وَطَــنٍ يَبقــى الأديــبُ بِــهِ
لــيسَ الغَريــب، ولكــنْ أهلُــهُ غُرَبــا

أبكـي علـى النَّخـلِ يـا مَـن أنـتَ صـاحِبُهُ
وأنــتَ ســاقِيهِ قَرْنــاً مــاءَكَ العَــذِبا

وراحَ حتـــى العِـــدا يَجنونَـــهُ رُطَبـــاً
وأنــتَ تَعلِــكُ منــهُ الــسَّعْفَ والكَرَبــا!

أبكـــي لأهـــوارِ أهلـــي الآنَ بَلْقَعُهـــا
يَبكـــي فَيُبكـــي بِهـــا البَـــرْديَّ والقَــصَبا

وَإذْ مُهـــــاجِرَةُ الأطيـــــارِ تَبلُغُهـــــا
تَبكـــي وَتُمْعِـــنُ عـــن قِيعانِهـــا هَرَبـــا!

أبكــي الفُــراتَين.. هَـل تَـدري مياهُهُمـا
بــأنَّ أعظَــمَ مَــن غَنَّــى لَهــا ذَهَبــا؟

لا (دجلــةُ الخيــر) ألــوَتْ مِــن أعِنَّتِــهِ
ولا الفُــراتُ بِخَيــلِ المَــوتِ فيــهِ كَبــا

كأنَّـــهُ لـــم يَكُـــنْ يَومـــاً نَـــديمَهُما
ولا أدارَ هُنـــا كأســـاً، ولا شَـــرِبا

ولا جَـرى دَمعُـهُ مـا سـالَ دَمعُهُمـا

ولا تَنَـزَّى دِمـاءً كُلَّمـا اختَـضَبا

يـا حامِـلَ الـسَّبعِ والتِّـسعينَ مُعجِـزَةً

أقَلُّهـا أنَّهـا لـم تَعـرِفِ الرَّهَبـا

لكنَّهـا عُمْـرَ قَـرْنٍ كامِـلٍ عَرَفَـتْ

أنْ تُـستَفَزَّ، وأن تُـوري الـدُّنا غَـضَبا!

يُقـالُ أرهَـبُ مـا في المَـوتِ وَحْـشَتُهُ

نَفـسي فِـداكَ، هـل استَوحَـشتَ حـينَ

وهَـل شَـعَرتَ اغتِرابـاً في مَعِيَّتِـهِ؟

قَـضَيتَ عُمـرَكَ يـا مَـولايَ مُغتَرِبـا!

وهَـل صَـمَتَّ اضـطِراراً، أو مُجانَفَـةً؟

أم كنـــتَ أبلَـــغَ أهــلِ الأرضِ مُنـــشَعِبا؟!

وهَـــل تُوُفِّيــتَ فِعـــلاً، أم وَلِـــدتَ بِـــهِ؟!
إنِّـــي رأيتُـــكَ مِـــلءَ المَـــوتِ مُنتَـــصِبا

حتـى لَقَـد ضَـجَّت الـدُّنيا بِمـا نَـشِبَتْ
أظفـــارُ مَجـــدِكَ فيـــهِ لا بِمـــا نَـــشِبا!

يـا شَـيخَ شِـعري، ويـا شَـيخي وَشَـيخَ دَمـي
مَــن لــي بــأنْ أفتَــديكَ الآنَ مُحتَــسِبا؟

مَـــن لـــي بِـــأنْ أُرجِـــعَ الأيَّـــامَ دَورَتَهـــا
فَأســـتَعيدَكَ بَحـــراً زاخِـــراً لَجِبـــا

يَلـــوي يَـــدَ الـــرِّيحِ لا تَلـــوي أعِنَّتَـــهُ
وَيَلطِـــمُ الجَبَـــلَ الجَلمـــودَ مُحتَرِبـــا

سَـــبعونَ عامـــاً، ولِلطـــاغوتِ رَهبَتُـــهُ
مـا راءَكَ النَّـاسُ، أيُّ النَّــاس، مُرتَهِبـا

بَـــل والِجـــاً كَولــوجِ المَــوتِ دورَهُمُـــو
مُهَتِّكـــاً عَـــنهُمُ الأســـتارَ والحُجُبـــا

مُغاضِـباً مثـلَ صِـلِّ الرَّمــلِ، مُنــصَلِتاً
لِلــرِّيحِ.. لا عَطَــشاً تَــشكو ولا سَــغَبا

في حَـــينِ بَيتُـــكَ أغـــصانٌ مُهَدَّلَـــةٌ
تَـــذوي، وأجنِحَـــةٌ أبقَيْتَهـــا زُغُبـــا

مُرَفرِفـــاتٍ علـــى الأوجـــاعِ، داميَـــةً
وأنـــتَ تَرنـــو إليهـــا مَـشفِقاً حَـدِبا

وكُلَّمـــا مـــالَ مِيـــزانُ الأبِ انتَفَـضَتْ
أُبُـــوَّةُ الـــشِّعرِ في جَنبَيـــكَ فانقَلَبـــا!

قــالوا هَرِمــتَ.. وَعُمـري لـم أجِـدْ هَرِمـاً

مَــــرآهُ يَمــــنَحُ حتــــى المَيِّــــتينَ صِــــبا!

وَدَدْتَ واللّهِ لــــو أُعطيـــكَ مِــــن عُمُـــري

عُمــراً لِيُــصبِحَ لــي إنْ أنتَــسِبْ نَــسَبا!

يــا ذا المُــسَجَّى غَريبــاً والعــراقُ هُنــا

يَــــشُقُّ قُمــــصانَهُ في البُعـــدِ مُنتَحِبـــا

وتَـــصرَخُ النَّجَـــفُ الثَّكلـــى مُرَوَّعَـــةً

رَجْـــعُ المـــآذِنِ فيهـــا يُفـــزِعُ القُبَبـــا

وأنـــتَ تَنـــأى فَتَلـــوي ألـــفُ مِئذَنَـــةٍ

رِقابَهـــا، ويَـــضُجُّ الـــصَّحنُ مُـــضطَرِبا!

وَلِلجِبـــالِ بِكُردِســـتانَ نائِحَـــةٌ

تَبكـــي اليَنـــابيعُ، والغابـــاتُ، والرَّشَـــبا

مِـــن بيـــرَه مَكـــرونَ يَمتـــدُّ العَويـــلُ بِهـــا

حتـــى تَـــراهُ علـــى حِمـــرين مُنـــسَكِبا!

أمّـــا الجَنـــوبُ فَيَـــدري المـــاءُ مـــا هَجَعَـــتْ

حِمريَّـــةٌ فيـــهِ، أو هَبَّـــتْ عَليـــهِ صَـــبا

إلا جَـــرَتْ أدمُعـــاً خُرْســـاً شَـــواطِئُهُ

وجاءهـــا دَمـــعُ كـــلِّ النَّخـــلِ مُنـــسَرِبا!

أبـــا فُـــراتٍ.. أبـــا روحـــي وقـــافيَتي

ومـــا عَرَفـــتُ لأوجـــاعي سِـــواكَ أبـــا

مِـــن يَـــومِ فَتَّحـــتُ عينـــي والعـــراقُ دَمٌ

يُطـــوَى فَتَهتِـــكُ عـــن طُوفانِـــهِ الحُجُبـــا

مُعاتِبـــاً تـــارَةً.. مُـــستَنكِراً أبَـــداً

مُغاضِـباً.. ســاخِراً حينـاً، ومُكتَئِبـا

لكــنْ تَظَــلُّ علــى الحــالاتِ أجمَعِهـا

شَـوكَ العـراقِ الـذي يُـدمي إذا احتُطِبـا!

عَلَّمتَنـــي مُـــذْ شَـــراييني بَـــرَتْ قَلَمـــي

كيــفَ الأديــبُ يُلاقـــي مَوتَــهُ حَرِبـــا

وكيـــفَ يَجعَـــلُ مِـــن أعـــصابِهِ نُـــذُراً

حينـــاً، وَحينـــاً نُـــذوراً كُلَّمـــا وَجبَـــا

وكيـــفَ يَـــصعَدُ دَربَ الجَمـــرِ مُـــشتَعِلاً

مُجانِفـــاً.. عَـــصَبٌ يُـــدمي بِـــهِ عَـــصَبَا!

عَلَّمتَنـــي كيـــفَ أُهـــدي لِلعـــراقِ دَمـــي

شِـعراً، وأخـشى العـراقيِّين إن نَـضَبا!



[مِـــن قَبــلِ قَــرْنٍ لــو انَــا نَبتَغــي عِظَــةً

وَعَظتَتــا أن نَـــصونَ العِلـــمَ والأدَبـــا!]

* * *

سلامٌ أبا فخري عليك

في رثاء السيد مرزه القزويني

١٩٦٤


الهيئة العامة
السورية للكتاب

ألا إنَّ خَطْبَ الموتِ فيكَ جَليلُ
وبَعدَكَ كلُّ الذَّاهبينَ قَليلُ

وبَعدَكَ كلُّ النَّازلاتِ تَوافِهٌ
وكلُّ الذي أسعى إليهِ هَزيلُ

وكنتُ جَزوعاً في الأذى فتَركتَني
وعندي لكلِّ الفاجعاتِ قَبولُ

ألا ليتَ أنّي ما عرَفتُكَ ساعةً

إذن كــانَ حُزنـــي عَبـــرةً ويَـــزولُ

وَلكــنْ يَــشاءُ اللهُ لــي أنْ تُجيرَنــي

وأن تَحتَفي بي والخطوبُ تَصولُ

وما كِدْتُ أدنو منكَ حَتَّى رَزأتَني

فيا ليتَ أُمِّي بي عليكَ ثَكولُ!

وما كنتَ فَرداً إذ فقَدتُكَ إنَّما

أخٌ وأبٌ في واحدٍ وخَليلُ

يقولون إنَّ الصَّبرَ في كلِّ حالةٍ

جميلٌ، وَهَل صبرٌ عليكَ جميلُ؟

سَلامٌ أبا فخري عليكَ أُطيلُهُ

بَلى، وسلامُ الأصدقاءِ طويلُ

وكـــانَ عِناقـــاً كـــلَّ يـــومٍ لقاؤنـــا

فَهَــل لِفَــمٍ يَــسعى إليــكَ سَــبيلُ؟

وَهَـــل لِيَـــدٍ باركتَهـــا إذ لَمـــستَها

رواءُ سَـــلامٍ مثـــلِ ذاكَ خَـــضيلُ

أُسَـلّمُ رَغـمَ الهَـمِّ، وَجهـيَ ضـاحكٌ

لأنَّ ســنىً مِــن ناظرَيــكَ كَفيــلُ

أنــا اليــومَ أســتَعفيكَ أنّــي مُــسَلّمٌ

عليــكَ ومِــدرارُ الــدُّموعِ يَــسيلُ

أنــا اليــومَ أســتَعفيكَ أنّــيَ مُنــشِدٌ

وكنــتُ عَيِيّــاً حيــثُ أنــتَ قَــؤولُ

رَجَوتَ سَـماعي فاعتَـذَرتُ مُغمغِمـاً

فكــلُّ حــديثٍ مِــن سِــواكَ دَخيــلُ

لقد كنتُ أستَحييكَ حَيَّاً، وها أنا
وَحَقِّكَ، رغمَ الموتِ، منكَ خَجولُ

فَصَمْتُكَ هذا اليومَ أبلَغُ ناطقٍ
وقولي وقولُ الآخرينَ فُضولُ

ثَكلتُكَ مِن ناعٍ يَصُكُّ مَسامِعي
لهُ مِدْيَةٌ بينَ الضُّلوعِ تَجولُ

ثَكلتُكَ تَنعى كلَّ خيرٍ وطيبةٍ
أما كانَ في هذي الألوفِ بَديلُ؟

أما كانَ في هذي الخُشارةِ مَقصَدٌ
لِسهمٍ أصابَ المجدَ فهوَ قَتيلُ

تَنادَيْتَ باسمٍ يعلمُ اللّهُ أنَّهُ

وَصــولٌ لكــلِّ المكرُمــاتِ فَعــولُ

فـسالَتْ بـكَ الآمـاقُ دمعـاً مُخـضَّباً
ومالَـتْ لـكَ الأعنـاقُ حيـثُ تَميـلُ
ســلامٌ أبـا فخـري عليـك، وإنّنــي
َلأُكبِــرُ أنَّ الرَّاســياتِ تَــزولُ

وأنَّ بِحـــاراً بـــينَ يـــومٍ وليلـــةٍ
تَجِــفُّ، وتَغــدو بَلقَعــاً، وتَحــولُ
بَلــى، وَمعــاذَ اللّهِ، مـا كنــتُ نـاكراً
ولكــنَّ وَطْــءَ المــوتِ فيــكَ ثَقيــلُ

ســلامٌ أَبـا فخـري عليـك، ودونَـهُ
علــى رغمِنـا، تُـربٌ عليـكَ مَهيـلُ

يَمينــاً بمــا بَينــي وبَينَــكَ إنَّنــي

لِقلبــيَ مــا بــين الــضُّلوعِ مَــسيلُ

أمــرُّ علــى الــدِّيوان حيــثُ يَلُمُّنــا

ولــي نــاظرٌ عــن مُتَّكــاكَ كَليــلُ

وأجلسُ مَـذهولاً غريبـاً، ولـم يَكـنْ

يَـرينُ علـى وَجهـي لـدَيكَ ذهـولُ

وكيـفَ ذُهـولي عنـكَ إذ كـلُّ لَفتَـةٍ

تَلَفَّتَّهــــا للـــــصالحاتِ دَليـــــلُ

وإذْ أنـــتَ لِلـــشَّاتينَ دِفءٌ ورَحمَـــةٌ

وللقـــائظينَ المُتعَـــبين مَقيـــلُ

وبيتُـــكَ للمُستَـــضعَفين حِمايَـــةٌ

وهَـــدْيٌ لكـــلِّ العـــاثرين مُقيـــلُ

فيـا بـاذخَ الأمجـادِ فيـكَ ازوِرارَةٌ
ويـا يـانعَ الأعـوادِ فيـكَ ذبـولُ

ويـا كاتبـاً «أهـلاً وسـهلاً بمَـن أَتـى»
أَتـاكُم أَتـاكُم وافِـدٌ ونَزيـلُ

فمـا لـي أرى ديـوانَ بيتِـكَ خاويـاً
وقـد مَلأَتْـهُ رَنَّـةٌ وعَويـلُ؟

وَمالَـكَ يـا طَلْـقَ الـشَّمائِلِ حُلوَهـا
سَـكَتَّ ومنـكَ القـولُ حـين تَقـولُ؟

ألا مَرحَباً تُزجَى؟ ألا بعضُ مَرحَبٍ
بـصوتِكَ يـا مَـن يَحتفـي ويُنيـلُ؟

لقـد كنـتَ أَوفى النـاسِ حـين كتبتَهـا

لِتَبقـى إذا مـا حـان منـكَ رَحيـلُ

سـلامٌ أبـا فخـري عليـكَ فـدَهرُنا

بمثلِـكَ يـا خيـرَ الرِّجـالِ بَخيـلُ

تَـشاءُ لـيَ الأقـدارُ لا دَرَّ دَرُّهـا

وفـاءً لِـدَينٍ مـا إليـهِ وصـولُ

بَكـى جَدُّكم جَدِّي، وهـا أنـا جـازعٌ

عليـكَ، وخَلفـي لِلمنيَّـةِ غُـولُ(*)

يَمينـاً إلـى لُقيـاكَ أبقـى مُـسلِّماً

عليـكَ.. صـباحٌ ينطـوي وأصـيلُ..

(*) إشارة إلى رائعة الشريف الرضي في رثاء أبي إسحق الصابي.

* * *



النَّخلُ لا تنحني إلاّ ذوائبُهُ

في حادثٍ فاجع، في نيسان ١٩٨٧ فقد الرئيس البكر ولده. هذه القصيدة كُتبت في احتفالات نيسان من العام نفسه.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

جَـلَّ ابتــسامُكَ عــن حُــزنٍ يواكِبُــهُ
أقبِـلْ، وإنْ كــان دمــعٌ أنــتَ ســاكِبُهُ

لا بأسَ نيسان.. بعضُ الدَّمعِ مَكرُمَـةٌ
وشَــيخُكَ الآن في صَــمتٍ يُغالِبُـــهُ

لا بــأسَ نيــسان.. أدري أنَّـهُ شَـطَطٌ
مِــن الزَّمــان، وشَــيخي لا يُعاتِبُــهُ

رجولَـةً، غيـرَ أنَّ الـشَّمسَ قـد كَلِفَـتْ
وأنَّ فَجــرَكَ، رُغمــاً، مــالَ جانِبُــهُ

يـا سَـيِّدي كُـنْ عَـذيري أنَّ فيَّ أبـاً
وَقلـبُ كـلِّ أبٍ قلبـي يُراقِبُـه

فَكيـفَ إن كنـتَ أنـتَ القلـبَ.. مَعـذِرَةً
إنَّـا علـى الحُـزنِ نَنسـى مَن نُخاطِبُـهُ!

أقـولُ صَـبراً؟.. لمـاذا؟.. مَـن يُخَـوِّلُني
هـذا؟.. وأكـرمُ صـبرٍ أنـتَ صـاحبُهُ

لا تَحـزَنَنْ؟.. تَجرؤ الألفـاظُ؟.. أيُّ فَـمٍ
يَقولُهـا؟.. ثمَّ مَـن ذا لا يُحاسِـبُهُ؟

يَلـوحُ لـي سَـيِّدي أنَّ الزَّمـانَ علـى
قَـدْرِ المـروءةِ تأتينـا عَواقِبُـهُ

إنَّ الكبيـرَ كبيـراتٌ مُدَوِّيَـةٌ
أمجـادُهُ، وَكبيـراتٌ مَـصائبُهُ!

يـا أيُّهـا الرَّجـلُ الـ تَبقـى أُبوَّتُـهُ
كَخَيمَــةِ اللَّيــلِ تأويهــا كواكبُــهُ
يَــسيلُ جُــرحُ ضــياءٍ في حُــشاشَتِهِ
لــو جانــبٌ مِــن سَـناها خَـرَّ ثاقِبُـهُ
لكـنْ يَظـلُّ مَهيـبَ الـصَّمتِ مُـشتَمِلاً
بِكِبْــرِهِ، مُــستَقيماتٍ مَناكِبُــهُ!
رجولَــةٌ أنَّ وَجْــهَ الجُــرحِ مُنكَــتِمٌ
وإنْ تَفَجَّــرَ في الأعمــاقِ شــاخِبُهُ
رجولَــةٌ أنَّــهُ مــا شــالَ مِــن عَجَــبٍ
يَومـاً، ولا انحَـطَّ عنـدَ الهَـمِّ حاجبُـهُ!
يَبقـى المُحـيطُ مَهيبـاً، هادِئـاً.. ولَقَـد
تَغلـي بِمـا لا تَـرى عـينٌ غَياهِبُـهُ!

يـا سَـيِّدي إنَّ بعـضَ الـشِّعرِ مُنفَجَـرٌ

مِـــن الـــضَّميرِ، تُلَبِّيـــهِ رَواسِـــبُهُ

تَجــيشُ بــالهَمِّ، كــلِّ الهَــمِّ، فَورَتُــهُ

وَتَجمَــعُ الحُــزنَ طُوفانــاً مَــسارِبُهُ

مِـن لَثغَـةٍ.. مَهْـدِ طِفـلٍ فـارِغٍ.. لُغَـةٍ

نَعتادُهـــا. أمَـــلٍ كُنّـــا نُداعِبُـــهُ

ثُـــمَّ انتَهـــى تارِكـــاً ظِـــلاًّ يُطالِعُنـــا

وَمَوضِـعاً صَـوَّحَتْ فيـهِ مَلاعِبُـهُ!

يـا سَـيِّدي، حُـزنُ كـلِّ الأرضِ تُبـصِرُهُ

في مَرفَـأٍ رَحَلَـتْ عَنـهُ مَراكِبُـهُ!

يـا والِـدَ الـشِّبْلِ مَجـدولاً تَـسيرُ بِـهِ

وَهْنــاً علــى دَمِــهِ الزَّاكــي قَوارِبُــهُ

بِمَــنْ أُعَزِّيــكَ؟.. في لبنــانَ إخوَتُــهُ

دمٌ تَجــيشُ بــلا ذنــبٍ غَوارِبُـــهُ

بِمَـنْ أُعَزِّيكَ؟.. هُـم أولادُكَ الـ قُتِلـوا

بـالأمسِ في مَجْمَـرٍ ضـاقَتْ مَذاهِبُـهُ

فَفَرَّجُوهــا بــأزكى مــا بِهِــم، دَمِهِـم

صــانَتْ كَريمَـــةَ مَـــروانٍ كَتائِبُـــهُ!

بِمَــنْ أُعَزِّيــكَ؟.. هُــم أهلــوكَ مَــن

علــى فلــسطين.. مَــسلوبٌ وســالِبُهُ

تَعــاوَرُوا دَمَـــهُ.. يَغلـــي فَتَـــسفَحُهُ

حينــاً عِــداهُ، وأحيانــاً أقارِبُـــهُ!

يــا ســيّدي.. أنْ تُواســي أُمَّــةٌ رجُــلاً

بنَجلِـــــهِ، فتُواســـــيها مَناقبُـــــهُ

مجـدٌ، وإنْ كـان يُـدمي قلـبَ صـاحبهِ

ذيّـاكَ جـرحٌ ضـميرُ الـشَّعبِ عاصِـبُهُ

مـا الثَّكـلُ ثكلَـكَ.. مـوتُ الحـرِّ مـأثَرةٌ

جـــرحٌ كـــريمٌ مُـــضيئاتٌ مَـــساكبُهُ

الثَّكـلُ ثكـلُ الـــذي ماتــتْ مُروءتُــهُ

فمــا تَنـــزُّ سُـــوى قَـــيْحٍ مَـــضاربُهُ!

الثَّكلُ ثَكـلُ الـذي لـم يَبـقَ منـه سـوى

شَـــتيمةٍ أبَـــدَ الـــدُّنيا تُـــصاحبُهُ

إنَّ الـــذي هـــزّتْ الـــدُّنيا خيانَتُـــهُ

غيـرُ لـذي هـزَّتْ الـدُّنيا نَوائبُـهُ!

يـا أيُّهـا الرَّجُـلُ العِمـلاقُ، مـا كَـدِرَتْ

إلا بِمَــوتِ الــذي يَهــوى مَــشارِبُهُ

تَألَّقَــتْ صُــعُداً أيّامُـــهُ، وَسَــمَتْ

أعلامُـــهُ، وَزَكَـــتْ فَرعـــاً نَجائِبُـــهُ

وطــالَ حتــى كــأنَّ الــشَّمسَ هامَتُــهُ

وصــالَ حتــى كــأنَّ المَــوتَ صــاحِبُهُ

وصـــادَمَتْ رُجُــمَ الـــدُّنيا كَتائِبُـــهُ

وَزاحَمَـــتْ قِمَـــمَ الـــدُّنيا مَواكِبُـــهُ

هــذا التُّــرابُ الــذي تَبقــى سِــقايَتُهُ

دَيْنـــاً، وكـــلُّ أخـــي دَيْـــنٍ نُطالِبُـــهُ

شــارَكتَ أهلَــكَ فيــهِ إذ جَرَيــتَ لَــهُ

دَمـــاً أعَـــزُّ عِبـــادِ اللهِ ســـاكِبُهُ!

يــا سَــيِّدي كــلُّ مَولــودٍ لَــهُ أجَــلٌ

وكــــلُّ مَــــوتٍ طَــــويلاتٌ مَخالِبُــــهُ

لكــنْ يُقَــصِّرُ منهــا أنْ تَحُــطَّ علــى

ديوان المراثي - م ٦

جَلْـدٍ، وَإنْ هِـيضَ، تَلريـ [illegible]

يـا أيُّهـا الرَّجُـلُ العِمـلاقُ جَـذرُكَ مِـن

هــذا التُّــرابِ، ومــا تَفنــى عَجائِبُــهُ

تَهُــبُّ كُــلُّ ريــاحِ الأرضِ عاصِــفَةً

والنَّخْـــلُ لا تَنحَنـــي إلا ذَوائِبُـــهُ!

وتَــستَغيثُ جِــراحُ الأرضِ أجمَعُهــا

وَجُرحُنــا أبَــداً خُــرْسٌ نَوادِبُــهُ!

يَظَــلُّ يَزخَــرُ مِــن كِبْــرٍ وَمَوجِــدَةٍ

حتــى تَفَجَّــرَ بُركانــاً لَواهِبُــهُ!

عُنْــفَ الفُـراتِ، إذا هِيـضَتْ مَنابِعُــهُ

فاضَــتْ فأغرَقَــت الــدُّنيا غَوارِبُــهُ!

يــا أيُّهــا الرَّجُــلُ العِمــلاقُ مَعــذِرَةً
لا يُتْئِــرُ الـــدَّهرَ إلا مَـــن يُواثِبُـــهُ
إنِّـــي رأيــتُ إلـــى الأقــزامِ تُخْطِــئُهُم
لِفَــرْطِ مــا صَــغُروا جُرْمــاً، نَوائِبُــهُ
أولاءِ لا فَقْـــدُهُم أبكـــى، ولا دَمُهُـــم
زَكَّـــى، ولا مَيْـــتُهُم قامَـــتْ حَرائِبُـــهُ
لكـــنَّهُم هَمَـــلُ التـــاريخ، تَلفُظُهُـــم
أدنـــى ذُراهُ، وتُـــؤويهِم خَرائِبُـــهُ
فَيــا كبيــراً علــى الأحــداثِ، مُنــصَلِتاً
لِلنّـــازِلاتِ، مُعَـــدّاتٍ رَكائِبُـــهُ

مَحَـــشَّداتٍ بِـــلا لِـــينٍ تَجارِبُـــهُ

مــؤجَّلاتٍ إلـــى حِـــينٍ غَواضِـــبُهُ

لا أنَـــزلَ اللّهُ قَـــدْراً أنـــتَ رافِعُـــهُ

ولا أطـــاحَ سَـــناماً أنـــتَ غارِبُـــهُ

ولا تَـــزَلْ أُمَّـــةٌ يَهـــدي مَـــسيرَتَها

سَـناكَ يـا مِـشعَلاً نَبقـى نُراقِبُـهُ..!

* * *

بين يَدَي عبد الرحيم عمر..

كتبت هذه القصيدة في الطريق إلى عمان ، وافتتح بها مهرجان الرَّمثا الشعري بُعَيد وفاة شاعر الأردن الكبير عبد الرحيم عمر .


الهيئة العامة
السورية للكتاب

قَــرِّبْ رِحالَــكَ مــن رِحــالي

فمَآلُنــــا نَفَــــسُ المَــــآلِ

نَفَــــسُ المَفــــازَةِ والخُطـــــى

لكـــنْ سَــبَقتَ أبـــا جَمـــالِ!

أَدريــــكَ عُمــــرَكَ غـــالِبي

لكـــنْ رِهـــانُ المـــوتِ غـــالي!

حتّـــى وأنـــتَ تَمـــوتُ، تـــأبى

أن تمـــوتَ وأنـــتَ تـــالي!

فـــــسَبقتَنا.. لــــم تَلتَفــــتْ

حتـــى لِبَيتِــكَ وهـــو خـــالي!

قَـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رِحـــالي

واشـــبِكْ حِبالَـــكَ في حِبـــالي

فأنـــا وَحيـــدٌ، واهـــنُ الـــ

خُطُـواتِ.. مُرتَجِـفُ الظِّـلالِ

متَغـــرِّبٌ حَـــدَّ الـــضَّياع

مؤجَّـــلٌ حَـــدَّ المَـــلالِ

لا وُتِّـــرَتْ قوســـي كعهـــدِكَ

بـــي.. ولا رِيـــشَتْ نِبـــالي

لكـــنْ أعـــيشُ ولا تَـــسَلْ

مـــاذا أعـــيشُ علـــى اكتِهـــالي

وأســـــيرُ.. هـــا أنّـــذا أســـيرُ

مـــع القطيـــعِ بـــلا ســـؤالِ

وعـلامَ أسـألُ..؟.. مَن سأسـألُ؟؟

مَـــــن بأســـــئلَتي يُبـــــالي؟

وطريقُنـــــا هـــــذي المَتاهـــــةُ

والـــــدَّليلُ أبـــــو رُغـــــالِ!

قـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رحـــالي

واغفِـــرْ شَـــكاتيَ وانفِعـــالي

خمـــــسونَ عامـــــاً والأكُـــفُّ

علـــى الزِّنـــادِ أبـــا جمـــالِ

خمـــسونَ عامــاً.. أنــتَ تَــذكرُ

كَـــم مِـــن الغُـــرَرِ الغَـــوالي

أنـــــــــــــــــشدتَهُنَّ وردَّدتَ

أصـــــداءها معَـــــكَ اللَّيـــالي

خمـــــسونَ عامـــــاً والمَـــــآذنُ

تَـــــستَفيقُ علـــــى بِـــــلالِ!

خمـــــسونَ عامـــــاً والـــــصَّلاةُ

تُقـــــامُ موحِـــــشَةَ الجَـــــلالِ!

ودماؤنـــــا تَجـــــري، ونحـــــنُ

نُمِـــــدُّهنَّ بـــــلا كَـــــلالِ

خمـــــسونَ عامـــــاً جُنِّـــــدَتَ

حتَّـــى الحجـــارةُ في القتـــالِ!

حتَّـــى الـــصِّغارُ نَمَـــوا وَشــابُوا

بـــــين هاتيـــكَ الـــــصَّوالي

وألآن.. هـــا أنَـــذا أمـــامَ

حـــضورِكَ الجَـــمِّ الكَمـــالِ

أتَـــرى إلـــى النُّقـــصانِ فيَّ؟!

وهـل تُحِـسُّ مَـدى انخِـذالي؟؟!

لـــو كنـــتَ تُبـــصِرُني لِتَعـــرِفَ

أيُّ مَذبَحَـــــةٍ ببِـــــالي

وأنـــا أرى وطَنـــي يُبـــاعُ

وكـــلَّ زَرعـــي للـــزَّوالِ

ودمـــاءَ أولادي أمـــامي

تَـــستَحيلُ إلـــى احتِفـــالِ

تَتَـــــصافَحُ الأيْـــدي عليهـــــا

وهــــي تُـــشرَبُ للثُّمـــالِ!

ومَحـــــارِمي.. وأنـــــا أقــــولُ

لهــــا: أمـــوتُ ولـــن تُنـــالي

وإذا بهـــــا مِــــن مَولــــدي

قـــد هُيِّئَــــتْ للإحــــتلالِ!

فــــإذا اشـــــتَعَلْتُ فــــأيُّهُم

لا يُـــستَفَزُّ مِـــن اشـــتعالي؟

وإذا رمَيْـــــتُ فَمَــــن يَـــدي؟

وإذا انتَخَيــتُ فَمَــن رِجــالي؟!

الحَمــــــدُ للّهِ الــــــذي

خـــذَلَ الأوائِـــلَ بـــالتَّوالي!

الحَمـــــــــدُ للّهِ الـــــــذي

دفـــعَ الـــيقينَ إلـــى الـــضَّلالِ!

الحَمـــــــــدُ للّهِ الـــــــذي

تَـــركَ الــرّؤوسَ بــلا عِقــالِ!

هـــــذي نهايـــاتُ المطـــافِ

وتلـــك خاتمـــةُ النِّـــضالِ!

قَـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رِحـــالي

وارفُـــقْ وأنـــتَ تـــرى هُزالـــي

أنـــــا في زمـــانٍ لا يُعـــينُ

ولا يُعـــانُ بـــأيِّ حـــالِ!

أذنابُـــــهُ عَـــــدَدَ الحَـــــصى
وذئابُـــــهُ عَـــــدَدَ الرِّمـــــالِ

وَرَحـــــاهُ مـــــا تَنفَـــكُّ تَطحَـــنُ
أهلَـــــهُ حتَّـــــى الثِّفـــــالِ

فـــإذا التَفَـــتُّ إلـــى الـــيَمين
أو التَفَـــتُّ إلـــى الـــشِّمالِ

أكـــوامُ مَطحـــونينَ مَـــدَّ العـــينِ
ماثلـــــــةٌ حِيـــــــالي

وَرُكـــــامُ مَطعـــــونينَ، لا
في الجـسمِ، لكـنْ في الخِـصالِ

سَـــقَطَ الزَّمـــانُ فأهلُـــهُ
يَتَـــسابقونَ للابتِـــذالِ!

يَتَبجَّحــــــون بـــــــأنَّهم

نَـصَروا الحـرامَ علـى الحـلالِ

وبـــــــأنَّهُم يتَهـــــــافَتونَ

علــى الــصَّغائرِ والــسِّفالِ

وبــأنَّ أقــصى مــا يؤمِّــلُ

خَيْــرُهُم عــيشُ المَــوالي!

هــذا زمــانٌ مــا حلَمنــا

أنْ يَجـــيءَ أبـــا جَمـــالِ

مَــن مــاتَ مــاتَ، ومَــن يَعِـشْ

فللانتحـــارِ أو الخَبـــالِ

أو يَـــستَحيلُ، وعـــن رِضـــاهُ

نِخالَـــةً بـــينَ النِّخـــالِ!

أرأيـــتَ مَـــن منّـــا يُغـــالي؟

مَـــن يَـــستَفزُّ.. ومـــن يُمـــالي؟

مَـــن يَنحنـــي.. مَـــن يَـــستطيلُ

ومـــن يُطـــأطيءُ وهـــوَ عـــالي؟

ومَـــن الـــذي يَحـــتَجُّ حـــين

تُبـــاعُ أعـــراضُ الرِّجـــالِ؟

أنـــتَ احتَجَجـــتَ بكـــلِّ موتِـــكَ

واحتَجَجْـــــتَ بـــــالاعتزالِ!

وتَركتَنـــــا.. لـــــم تَلتَفـــــتِ

وأقَمْـــتُ مُنكَفـــيءَ الـــدِّلالِ!

أبكـــي علـــى وَطنـــي، وتَـــذبحُني

مَخافَـــــــةُ أن يُـــــــوالي

وأذودُ عنـــــــه بأضـــــلُعي

وأذودُهُ هـــــوَ عــــن عيـــــالي!

فــــانظُرْ إلـــيَّ وقـــد غَـــدَوتُ

أخـــافُ مـــن أهلـــي، وآلـــي

وأقَمْـــتُ في جُـــرحَين.. جُـــرحِ

يَـدي.. وجــرحِ أبــي وخــالي

وكلاهُمـــا.. يَفنـــى الزَّمـــانُ

ولا يَفـــــيءُ للانــــــدِمالِ!

لكنَّنـــي عبـــدَ الــــرَّحيمِ

وحَـــقِّ بَيتِـــكَ وهـــو غـــالي

مـــا نِمْـــتُ يومـــاً والعـــراقُ

مُعَـــــــرَّضٌ للإغتيـــــــالِ!

كـــلاّ، ولا أرخَيـــتُ قوســـي

وهـــو مُـــشتَجِرُ النِّـــصالِ

لـــي فيـــهِ أَنَّ دمـــي يَـــسيلُ

وأَنَّ أورِدَتـــــي تُلالـــــي

وبأنَّـــهُ عُمـــقَ الـــضَّمير

وحبُّـــهُ عمـــق الخيـــالِ:

عبـدَ الـرحيم.. وقـد نـذَرتُ

دمـــي، وجـــاوَزتُ احتمـــالي

ودخَلـــتُ بيتَـــكَ مثلَمـــا

أدمَنْـــتُ في الحِجَـــجِ الخَـــوالي

فرأيتُنـــــي.. والأهــــلُ أَهلـــي

والرِّئـــــالُ بـــــهِ رِئـــــالي

لكنَّنــــــي مثـــــلُ الغَريــــب

تَكــــادُ تُنكرُنــــي ظِلالـــــي

وأقــولُ: مــا لـــي..؟.. صــادقٌ

أنـا يـا تُـرى إن قلـتُ: مـا لـي؟!

مــا لـــي مَنامُــكَ في التُّــراب

وكنــــتَ عملاقـــاً قِبـــالي!

وجنــــوحُ صَــــوتِكَ للنُّعـــاسِ

وكـــان يَفتَـــرِعُ الليــــالي

ومَـــآلُ تلـــكَ الأرْيَحيَّـــةِ

والفتـــــوَّةِ للـــــزَّوالِ

وبــــأنَّني أمـــسَيتُ أَدمـــى الــــ

ثـــــاكلينَ أبــــا جمــــالِ

ســــــاءلتُ نفـــــسي إذ ذُرى

عمّـــان تَلمـــعُ في الجبـــالِ

والليـــلُ مُرخـــىً في الأزِّقـــةِ

والمنـــــازلِ.. والــــــدَّوالي

وأنـــا أَدورُ سُـــدىً بعينــــي

في الوهــــادِ، وفي الــــتّلالِ

لأرى لبيتِــــــكَ، إن تَـــــكُ

الأقمـــارُ مازالَـــتْ تُلالـــي

أتَــسمَّعُ الــضَّحَكاتِ.. والأســمارَ

أنظُـــــــرُ للهِــــــلالِ

فـــأراهُ يبكـــي فـــوقَ بَيتِـــكَ

وهـــوَ يَلمـــعُ فيْ العَلالـــي!

ودخلـــتُ فيْ عمّـــان.. منكَـــسِرَ

الخُطـــى.. وَجِـــلَ الـــذُّبالِ

أأزورُ قبـــــــرَكَ.. أم أزورُكَ

فيْ الـــصَّباحِ أبـــا جمـــالِ؟!

* * *



وداعاً أبا سدير

في رثاء جبرا إبراهيم جبرا

١٩٩٥


الهيئة العامة
السورية للكتاب

فِي وَداعِكَ جبرا

سأستَحضرُ الآنَ بغدادَ من عُمقِ خمسينَ عامْ

لِتُلقي عليكَ السَّلامْ

شَناشيلُها، وأزِقَّتُها،

وفَوانيسُها في الظلامْ

وقَوارِبُها السَّابحاتُ لأُمِّ العِظامْ(*)

بدَرابِكها، والهَلاهلِ،

(*) أمّ العظام: جزيرةٌ في نهر دجلة.. في قلب بغداد.

والشَّمعِ يُسرَجُ في كَرَبِ النَّخلِ..

أستَحضرُ الآنَ بغداد

من نَومِ خمسينَ عامْ

لِتُبصرَ أنَّ الفتى الجاءَها من بلادِ الغَمامْ

وَفى.. فقَضى عُمرَهُ بين أحضانِها

وأغواهُ يوماً دُجاها فنامْ..

سأوقظُ بغدادَ جبرا

سأوقظ مَقهى حَسَنْ عَجْمِيَ الآن(*)

ومقهى الرشيد

والبرلمانْ

(*) حسن عجمي، والرشيد، والبرلمان: أسماء مقاهٍ مشهورةٍ في شارع الرشيد ببغداد وكانت تضجّ بالأدباء آنذاك.

وألتَمِسُ الآن «بدرا»(*)

أقولُ له إنَّ جبرا

وحيدٌ بحُفرَتِهِ

وهو لم يألَف الموتَ بَعدُ

فَساعِدهُ

إنَّ وليدَ بنَ مسعود(**)

يَقبلُ كلَّ الفَواجِعِ

إلاّ فَجيعةَ أن يَتركوهُ وحيداً

فَساعِدهُ

(*) بدر: بدر السياب.

(**) وليد مسعود: بطل رواية جبرا المشهورة.

سوف يَجيئُكَ «بدرُ» كعادتِهِ

وأوراقُهُ البِيضُ تَحتَ وسادَتِهِ

قد يمرُّ على عجَلٍ بابنِ مردانْ(*)

يُخبِرُهُ أنَّ جبرا أتى

وتَعلَمُ أنَّ «حُسيناً» سيَفزَعُ كالطِّفلِ

يُفزِعُ أهلَ القبورِ جميعاً

ويَجهَلُ للآنْ

زهرةُ مردانْ

أنَّ القبورْ

وأنَّ القصورْ

(*) حسين مردان: شاعر عراقي كبير توفي في أواسط السبعينيات.

عالمٌ غيرُ عالَمِنا

يَجهلُ زَهرةُ مردانْ

أنَّ «قصائدَهُ العاريات» اكتَسَيْنَ قلوبَ العذارى(*)

وقلوبَ السُّكارى

وقلوبَ المُحبّين

يجهلُ أنَّكَ جئتَ لَهُ بِنَدى العاشقين

وليدَ بنَ مسعود..

وأُودِعْتَ كالناسِ قَبرا

وموتُكَ لا يُشبهُ الموتَ جبرا

(*) قصائد عارية: ديوان مشهور لحسين مردان.

رأيتُ إليكَ خلالَ الشهورِ الأخيرةِ

تُورِقُ.. تورقُ

حتّى انحَنَتْ تحتَ أحمالِهِنَّ جميعُ غصونِكَ

هل كنتَ تركضُ للموتِ جبرا بكلِّ حياتِكَ؟؟

أم كنتَ تَحجبُهُ عنكَ

مُختَبئاً خلفَ نَبضِكَ

ومُختبئاً خلفَ رَفضِكَ

حَدَّ الفَزَعْ

حَسناً..

سأُنادي بُلَندَ وأكرمَ

أدعو رشيدَ بنَ ياسين

أدعو البُريكان(*)

أسألُهم أن يَعودوا بذاكَ الزَّمانْ

مِن بطونِ المقاهي العتيقه

والتّخوتِ الغَريقه

بالحكايات..

أيام كان أعزَّ سَعادتِنا

أنْ نؤلِّبَ مَوجاً على جُرفِهِ

ونُثيرَ أديباً على حَرفِهِ

(*) بلند الحيدري، أكرم الوتري، رشيد ياسين، ومحمود البريكان: أصدقاء جبرا وعصبته.. وهم مع بدر ونازك طليعة التجديد في الشعر العربي المعاصر.

كنتَ أنتَ،

ولم نَكُ نَشعرُ

مِحوَرَ كلِّ مُشاكسَةٍ

كنتَ تَرطمُ غيماً بغيمْ

وتنظرُ مبتَهجاً كيفَ يَشتعلُ البَرقُ

ثمَّ يَهلُّ المطَرْ..

الكتابةُ ليسَتْ بَطَرْ

هكذا كنتَ تُوحي لنا

دونَ أن تَتعالَم جبرا

وكنّا نهيمُ بهذا الفتى الجاءنا من بلادِ الغَمامْ

وفي قلبِهِ هاجسٌ لا ينامْ

أنَّ للحَرفِ جمرَتَهُ

أنَّ للشِّعرِ خَمرَتَهُ

أنَّ مَن يكتبُ الشِّعرَ بين النّبوءةِ والموتْ

قد يَفقدُ الصَّوت

لكنَّهُ قَطُّ لا يَتنازَلُ عن صَولجانِ نبوءتهِ..

وها أنتَ ذا

بعدَ سبعين عاماً ونَيْفْ

وسبعين بَرْداً وصَيفْ

تتنازَلُ عن عَرشِ صوتِكَ جبرا

وتَسكنُ كالنَّاسِ قبرا

وسلامٌ عليكْ

أنتَ عُمرَكَ لم تَتنازلْ وليدَ بنَ مسعود

عن نجمةٍ في يَدَيكْ

ولهذا خَشِيتُ عليكَ من الموتِ جبرا

فكم كنتَ تَقلَقُ مِن أن يَجيءْ

وما برحَتْ بعدُ لؤلؤةٌ في مَحارتِها

وهيَ ترنو إليك..

* * *


الهيئة العامة
السورية للكتاب



ألقُ الصَّمت

في ذكرى رحيل الشاعر نزار قباني


الهيئة العامة
السورية للكتاب

أَلَـــقُ الـــصَّمتِ، وصَـــمتُ الأَلَـــقِ
يَـــــسبَحانِ الآنَ فـــــوقَ الـــــورَقِ
مَـــــــلآ أورِدَتـــــــي أشـــــرِعَةً
مُمعِنـــــــاً بَحَّارُهـــــا في الغَـــــرَقِ
وأنـــــا أرقَـــــبُ أطيافَهُمـــــا
والـــسَّنا، كـــلُّ الـــسَّنا، في حَـــدَقي!

أَلَـــقَ الـــصَّمتِ.. تُـــرى أيـــنَ مَـــضى
ذلـــكَ الـــصَّوتُ كـــأنْ لـــم يَنطِـــقِ؟
كيـــفَ هاتيـــكَ الـــرُّؤى أجمَعُهـــا

جَنَحَــــتْ مثـــلَ جنـــوحِ الــــشَّفَقِ؟

لــــم يَعُـــدْ غيـــرَ حـــروفٍ أنجُـــمٍ

وحَفيـــــفٍ جَرَيــــانَ الغَــــدَقِ

يَمــــلآنِ الــــرُّوحَ حُبَّــــاً وَسَـــنىً

وَجَمــــالاً عاريــــاً لا يَتَّقـــــي

كــــلُّ مَــــن يَعـــشَقُ لا يُنكِــــرُهُ

وَحـــدَهُ يُنكِــرُ.. مَـــن لـــم يَعـــشَقِ!

أيُّهـــا الخـــالِقُ.. يـــا أبلَـــغَ مَـــن

صَـــوَّرَ الحُـــبَّ فلَـــم يَختَلِـــقِ

لـــم يُـــوارِبْ.. لـــم يَنَـــلْ أجنِحَـــةً

حَمَلَـــتْ رؤيـــاهُ ضِـــيقُ الأُفُـــقِ

عُمــــرَهُ لِلحُـــبِّ في ناموسِـــهِ

حُرمَـــــةٌ، بَــــل ذِمَّـــــةٌ فِي العُنُـــــقِ

أن يُناجيـــــــهِ نَبـــــيلاً فارِســـــــاً

لا كَمـــــا يَفعَـــــلُ واهـــــي الخُلُـــــقِ

وَلِـــــذا كـــــانَ أميـــــراً فِي الهَـــــوى

وأســـــيراً فيـــــهِ سَـــــقَّى وَسُـــــقي!

يـــا نِـــزارَ الحُـــبِّ.. هَـــل مِـــن لُغَـــةٍ

تَحتَفـــــي بـــــي، وَلِـــــسانٍ ذَلِـــــقِ

يُـــــسقِطُ المَيِّـــــتَ مِـــــن أحرُفِهـــــا

وَيُبَقِّـــــي ريـــــشَها فِي طَبَقـــــي

عَلَّنـــــي أُفلِـــــتُ مِـــــن أجنِحَتـــــي

لِـــــدُنىً كُنّـــــا عَليهـــــا نَلتَقـــــي

يَـــــومَ كُنّـــــا نَمـــــلأُ المِربَـــــدَ فِي

ليـــلِ بَغـــداد بِـــذاكَ العَبَـــقِ

وَيَلُـــمُّ الفَجـــرُ مـــن أقـــدامِنا

مـــا تَـــوارى ﯿﮯ زَوايـــا الطُّـــرُقِ!

يـا صـديقي.. يـا نَـسيبي.. يـا أخـي

يـــا عِراقـــيَّ الهَـــوى والرَّهَـــقِ

هَـــل بَقايـــا «مَرحَبـــاً» تَـــسمَعُها

منـــكَ آذانُ العـــراقِ المُرهَـــقِ(*)

عَلَّهـــا تَمـــسَحُ مِـــن أوجاعِـــهِ

عَلَّهـــا تَجمَـــعُ بَعـــضَ المِـــزَقِ

عَلَّهـــا تُـــصبحُ أدمـــى مَرحَبـــاً

(*) إشارة إلى قصيدة نزار التي مطلعها:

مرحباً يا عراق، جئتُ أغنّيك وبعضٌ من الغناء بكاءُ

تَتَهــــادى نَحـــــوَهُ مِـــــن جلَّــــقِ!

رُبَّمـــــا بَلقــــيسُ تَــــصحو قَمَــــراً

باكيــــاً فيِ الكـــرخِ عنــــدَ الغَـــسَقِ

فــــإذا لاقَيتَهــــا سَـــلِّمْ لَنــــا

قُــلْ لهــا: أهلُــكِ.. هــذا مــا بَقــي!

ربَّمـــــا دجلَــــةُ تُخفـــــي دَمَهــــا

وَتُغَطِّـــي مــــا بِهــــا مِـــن حُـــرَقِ

لِتُلاقــــــي فيــــكَ زَوجَ ابنَتِهــــــا

فَتُحَيِّيــــــكَ بِوَجــــــهٍ مُـــــشفِقِ

رُبَّمــــا تُبــصِرُ مِـــن صَــحبِكَ مَـــن

لـــم يَـــزَلْ يَـــسألُ فيِ مُفتَـــرَقِ!

رُبَّمــــا.. كَـــم رُبَّمـــا نُطلِقُهـــا

في مآســـــينا بيـــــأسٍ مُطبِـــــقِ

يّـــذهَبُ الـــصَّوتُ وَيَبقـــى رَجعُـــهُ
آهَـــــةً في فَمِنـــــا المُختَنِـــــقِ!

يـــا نِـــزارَ الحُـــبِّ يَكفيـــكَ غِنـــىً
أنْ تَمُـــــرَّ الآنَ مثـــــلَ الرَّمَـــــقِ

كـــــلُّ بَيـــتٍ عَرَبـــيٍّ نَفحَـــــةٌ
منـــــكَ فيـــــهِ سَـــرَيانَ الحَبَـــقِ

الـــذي يـــأرَقُ مِـــن فَـــرْطِ الجَـــوى
فَلَـــــهُ منـــــكَ شَـــــريكُ الأرَقِ

والـــــذي، أو والتـــــي يُقلِقُهـــــا
هـــاجِسٌ، تَـــسبقُها في القلَـــقِ

والــــذي خـــانَ هَـــواهُ إلفُـــهُ

قَبلَـــهُ تَـــشهَقُ إنْ لـــم يَـــشهَقِ

مَـــرَّةً يَـــشرَقُ أصـــحابُ الهَـــوى

بَينَمــــا أنـــتَ أبِيـــدُ الـــشَّرَقِ

كـــلُّ حُـــبٍّ أنـــتَ فيـــهِ شـــاهِدٌ

وَشَـــريكٌ في الأســـى والرَّنَـــقِ!

⁂

أنـــــا أدري أنَّهـــــا مَجمَـــــرَةٌ

كـــلُّ مَـــن يَعْلَـــقُ بالـــشِّعرِ شَـــقي

ربَّمــــا يَـــــذبَحُنا في لَحظَـــــةٍ

بيـــتُ شِـــعرٍ بِنَقـــاءِ الفَلَـــقِ!

إنَّ حَرفـــــاً بـــــالهوى مُحتَرِقـــــاً

عِـــدْلُ حَـــرفٍ بـــاللَّظى مُحتَـــرِقِ

ليـــتَ هـــذا الكـــونَ يَغـــدو كلُّـــهُ

عاشِـــقاً لا غارِقـــاً في العَلَـــقِ!

* * *





كالبحرِ صوتُك..

ألقيت في حفل أربعينية

محمود درويش في دمشق


الهيئة العامة
السورية للكتاب

قيلَ لي جئتَ بغداد مِن قبلِ يَومَينِ محمود

لم أصَدِّقْ،

فَما رَنَّ في مَكتَبي جَرَسُ التلفون

ولا قالَ..

ثمَّ تَنَبَّهتُ..

كيفَ؟..

وبغدادُ ما عادت الآن؟!..

ولا رَنَّ..؟

قالوا بَلى،

جَرَسٌ يُشبِهُ الموت

رَدَّدَ.. محمود

وانقَطَعَ الصَّوت

صَدَّقتُ شَكِّي

بَغدادُ ما عادَت الآنَ بغداد

وصَوتُكَ محمودُ يَنأى

تُتابِعُ كلُّ العَصافيرِ أمواجَهُ

وهيَ تَبكي..

كـالبَحرِ صَـوتُكَ يـا محمـودُ يـأتيني

هَـدِيرُ أمواجِـهِ يَبـري شَـرايِيني

كــالبَحر.. أســهَرُ طــولَ اللَّيــلِ أرقبُــهُ
يَنــأى، فيَنــشُرُني دَمعــاً ويَطــويني
وأنـــتَ تُوغِـــلُ في المَجهـــولِ أشـــرِعَةً
مُحَمَّـــــلات بـــــآلافِ الـــــدَّواوينِ
طَوَيتَهـــا مُوجَعـــاً، والعُمـــرَ أجمَعَـــهُ
لـــم تُبْـــقِ منهـــا هُنـــا غَيـــرَ العَنـــاوينِ
وَنبـــضَةً عَلِقَـــتْ تَبكـــي بزاويَـــةٍ
في أرضِ غَـــزَّةَ بَـــينَ المـــاءِ والطِّـــينِ
أكـــادُ أســـألُ مَـــن مِنَّـــا أمَـــضُّ أســـىً
أنـــا العراقـــيُّ، أم أنـــتَ الفلـــسطينيّ؟!

عـــشرينَ عامـــاً تآخَينـــا علـــى دَمِنـــا
نَجـــري بِـــهِ نازِفـــاً بَـــينَ الـــسَّكاكينِ

كـــلُّ المَعـــابِرِ خَـــضَّبنا مَـــدارِجَها

مِــن يَــومِ ذيقــار حتــى يَــومِ حِطِّــينِ

مؤَمِّليــنَ الــصِّغارَ الــواثِقيــنَ بِنــا

بِبَعــثِ مَجْــدٍ مَــدى التــَّاريخِ مَدفُــونِ

تــُرى أأحــسَنتُما يــا أنتــُما وَجَعــاً

أم رُحتــُما حَطَبــاً بَيــنَ الكَوانيــنِ؟!

عــشرينَ عامــاً طــَوَيناها علــى عَجَــلٍ

نــَموتُ مــا بَيــنَ تــِشرينٍ وَتــِشرينِ

حتــى ذوَيْــنا.. وهــذا أنــتَ رُحْــتَ سَنَىً

أمَّــا أنــا، فــَلأيِّ اللَّيــلِ تُبْقيــني؟!

يا أقرَبَ الناسِ مِن جُرحي وَمِن وَجَعي

كم ضَجَّ يأسـي، وَكـم حاوَلـتَ تـَطميني؟

كـــلُّ المَرابـــدِ كُنـــَّا في مَجامِرِهـــا

وَإخـــوَةُ الـــشِّعرِ بـــَينَ الحُـــورِ والعـــِينِ

وكنـــتَ تـــُوري لَيـاليهـــِم مُشاكَـــسَةً

فَيَـــضحَكونَ، ولكـــنَّ ضِـــحكَكَ مَغـــبونِ!

مـــا جئـــتَ بغـــداد إلا والنَّخيـــلُ لـــَهُ

مِمـــَّا شـــَدَوتَ نَزيـــفٌ في العَراجيـــنِ!

وَلا انقَـــضى مِربَـــدٌ يَومـــاً حَـــضَرتَ بـــِهِ

إلا وأنـــــتَ حَبيـــــبٌ لِلمَـــــلايينِ

وكنـــتُ محمـــود أُدنـــي منـــكَ مَجمَرَتـــي

وكنـــتَ، مُحتـــَفياً بـــالجَمرِ، تُدنيـــني

حينـــاً تـــؤاخي المآســـي بـــَينَ أحرُفِنـــا

وَيَفعَـلُ الحُــبُّ بَــينَ الحــينِ وِالحيــنِ

حتــى لَيَكتــُبَ كــلُّ وَجْــدَ صاحِبــِهِ

لأنَّـــهُ بِـــشَجاهُ جِــدُّ مَــــسكُونِ!

هذي القصيدةُ شِعري.. أمس عِشتُ

وَعِـشتُ فيهــا.. وكــادَتْ أنْ تُوافيــني

كَتَبتَـها أنـتَ.. قـُلْ لـي كيـفَ تَـسبقُني

إلــى دَمــي، مُـستَحِماًّ في بَراكيـــنيِ؟!

محمـود.. تَذكـُرُ هـذا..؟؟.. قُلتَـهُ عَلَـناً

وأنــتَ تـَرجفُ حتــى كـِدتَ تُبكيــني

وَكــانَ أوَّلَ يــَومٍ لِلِّقـــاءِ لَنــا

وَالآن.. مـا زلـتَ حتـى الآن تَـشجيني

مــا زلــتَ تُوقــظُ أوجــاعي فَتُلهــمُني
وَتُوقــدُ الجــمرَ حتــى في رَياحيــني

يــا عُنفــوانَ فلــسطينٍ بأجمَعِهــا
وَيــا فَجيعــةَ أهــلي في فلــسطينِ
بَــل يــا فــجيعَةَ كــلِّ الــشّعرِ في وَطنــي
والنــخلِ، والأرزِ، والزَّيتــونِ، والتــيِّنِ
وَيــا فَجيعــةَ حتــى الطــيرِ، أعذَبِهــا
شَــدْواً.. فَجيعــةَ أسـرابِ الحَــساسينِ
تَــحومُ حَولَــكَ.. تَــبكي.. مَحْضَ أجنِحَــةٍ
مُرَفرِفــاتٍ، بِــصَمتٍ جِــدِّ مَطعــونِ!

هَــل كنــتُ أبكــي.. أم انَّ الــرِّيحَ تُــسمِعُني
نَحيبَهــا بــينَ أوراقــي، وَتــوصيني

أن لا أميــلَ عــلى قــَومي فَأُســمِعَهُم

نــَعيَّ محمــود؟.. يــا شــُمَّ العَرانيــنِ

محمــودُ مــات.. فأنتــُم يــا عـُمومَتــَهُ

مِــن صَوتــِهِ في مــَلاذٍ جــِدِّ مــأمونِ!

مــا عــادَ يُقلِقــُكم، لكــنْ سَيَترُكــُكم

مَــدى المَــدى سُبــَّةً بــينَ الدَّواويــنِ!

★ ★

هــا قــد دَنــَوتُ لأوكــارِ الــشَّياطينِ

محمــود.. إنْ تِهــتُ دَعْ مَــسراكَ يَهــديني!

مــا كــانَ أجــدَرَ في هــذي القــصيدةِ أن

أنــأى بِهــا عــن نِفــاياتِ الدَّهــاقــينِ

وَأن أُنــَزِّهَ يــَومــاً أنــتَ غُرَّتــُهُ

عــن أنْ يُشابَ بــِذكرِ العــَيبِ والــدُّونِ

لكنـــــَّهُ وَجَــعي.. أبـــقى أمُــجُّ لـــَهُ

دَمـا ًوَجَمـراً، وَشِـعري مِــن قـَرابيني

هــذي مَذابــِحُ أهلــي، وهــيَ مَــذبَحَتي

أنــا الذَّبــيحُ وأعمـــامي سَكاكيـــني

أمـــَّا زَواحِــفُ أمريكـــا فـــقد عَــبَرَتْ

إلـــيَّ مِـــن دُورِ هاتيـــكَ الثَّعابيـــنِ

وبَينَهـــا مِـــن بَـــني أعمامِنـــا عَــرَبٌ

مُبَطَّنـــونَ بِحِــــسقيلٍ ورابيــــنِ!

وأنـــتَ خمــسينَ عامــاً كنــتَ تَــصرَخُ في

وديانِهـــِم، فَتُثَنــــِّي ألــــفُ آميـــنِ

حتـــى إذا استأنَــسُوا أبــصَرتَ أيــديَهُم

كــلاً بــِها خَنجَــرٌ مِــن صُــنعِ صِـهيونِ!

وَحَــقِّ مَوتـــِكَ يـــا مَحمـــودُ، وهـــوَ دَمٌ
ذِمامـــُهُ حـــَولَ أعنـــاقِ المَلايـيـــنِ
وإنـــَّني واحـــِدٌ مـــنهُم، فَلـــَو خَفـــَرَتْ
عَينـــي أقـــولُ لهـــا: عَـــن مِحجَـــري بـــِيني!
عَمـــىً لـــَها.. كـــانَ أولـــى أن نمـــوتَ مَعـــاً
مِـــن أنْ تُدَجـــَّنَ أو تـــَرضى بِتـــَدجينِ!

سَنَلتـــَقي ذاتَ يَـــومٍ .. سَـــوفَ تَـــسألُني
مـــاذا تركـــتَ؟.. وأحكـــي.. سَـــوفَ تـــُعطيني
وِســـامَ أنْ أتَبـــاهى زاهيـــاً بـــِدَمي
لأنـــَّهُ لـــم يَـــصِرْ مـــاءاً لِيَـــحمينـــي!

تـــُرى أأوفَيـــتُ أحزانـــي مَدامِعَـــهـــا؟
وَقـــَد تـــَجاوَزتُ سِتـــِّيني وَسَـــبعـــيني؟

هُمـا إبـائي وَشِـعري صُـنتُ زَهوَهُمـا

حاشـاكَ مَحمـودُ يَومـاً أن تُواسـيني!

أنـا حَمَلـتُ جِراحـي مُنـذ كُـنتُ فـَتىً

علـى المَنـابرِ، أو بـينَ الزَّنـازيـنِ

وأنـتَ، قَلـبُكَ.. هَـل أحسَنتَ عِـشرَتَهُ

أم كُـنتَ تَحملُـهُ حَمـلَ المَطاعيـنِ؟

وكـانَ مـا بَينَـنا عَـشرٌ سَبَقـتُ بهـا

وَهـا أنـا الآنَ أسـعى لِلثَّمانيـنِ

تُـرى أأثقَلَـني عُـمري فَأبـطَأني

وأنـتَ أسـرَعتَ في سَبـعٍ وسِتّيـنِ؟!

* * *


الهيئة العامة
السورية للكتاب





يا شاديَ الأيك..

ألقيت في الحفل الكبير الذي أقيم
في دمشق، في ذكرى بدوي الجبل


الهيئة العامة
السورية للكتاب

أكَبــرتُ مَغنــاكَ أن يَــذوي كَمَغنانــا
يـا شـاديَ الأيـكِ عُمـرَ الأيـكِ مـا هانـا

يَبقـى النَّـدى مـا بَـدا للـضَّوءِ منـهُ مَـدى
يَجـري إليـهِ، ويَبقـى الأيـكُ سُـلطانا!

وأنــتَ يــا سَــيِّدي ناجَيتَــهُ مَلَكــاً
فَرَفــرَفَ الــشَّجَرُ المَــذهولُ هَيمانــا

غَلغَلــتَ صَــوتَكَ في الأنــساغِ يُوقِظُهــا
حتــى تَفَتَّحَــت الأوراقُ آذانــا!

أسـرَجتَ في الغَـيمِ بَـرقَ الـشِّعرَ أجمَعَـهُ
وحــينَ أمطَــرتَ مــاجَ الكَــونُ ألحانــا!

تُـــرى أغَنَّيـــتَ، أم رَتَّلتَهـــا صُـــحُفاً
تَنثـــالُ مـــن مَلَكـــوتِ اللّهِ أوزانـــا؟

مَـــلأتَ أنهـــارَ كـــلِّ الأرضِ أشـــرِعَةً
وقُلــتَ لِلمــاءِ: كُــنْ يــا مــاءُ طُوفانــا

وجئـــتَ بـــالوَحيِ آيـــاتٍ مُعَطَّـــرَةً
ســالَتْ بِهِــنَّ فَجُــنَّ المــاءُ سَــكرانا!

طُوبــاكَ والأيــكُ قــد أهــداكَ بَهجَتَــهُ
نحــنُ امتُحِنَّــا بِــهِ وَرداً وأغــصانا!

مُحَمَّــــدَ بــــنَ سُــــلَيمانٍ.. وأيُّ رؤىً
لِلــوَحيِ مَوسَــقتَها مَوجــاً وشُــطآنا؟

سُــبحانَ رَبِّــكَ هَــل داوودُ خُــصَّ بِهــا
هــذي المَزاميــرُ أم خَــصَّتْ سُــلَيمانا؟

فَحاشَــــها لابنِــــهِ.. تَلهــــو أصــــابِعُهُ
بهــــا.. مَلائِكَــــةً يُــــوقِظنَ شَــــيطانا!

يــا سَــيِّدي.. يــا نَــدِيَّ الحَــرفِ تَقدَحُــهُ
جَمــراً، وَيَبقــى علــى الأوجــاعِ نَــديانا

كــأنَّ حَرفَــكَ، مِمَّــا فيــهِ مِــن وَهَــجٍ
وَخُــضرَةٍ، نَبــعُ مــاءٍ أشــمَسَ الآنــا!

كأنَّــــهُ، وَجَنــــاحُ الــــوَحيِ يَحمِلُــــهُ
نجــمٌ يُشَعــشِعُ فِي الظَّلمــاءِ نَــشوانا

وَنَحــنُ يــا سَــيِّدي أوراقُنــا اختَنَقَــتْ
مِمَّــا نَمُــجُّ بِهــا دَمعــاً وَدُخَّانــا

رِقـــــابُ أحرُفِنــــا مَلويَّـــــةٌ أبَـــــداً

فَــوقَ الــسُّطورِ، فَنَخــشاها وَتَخــشانا

صِــرنا كلانـــا نَخـــافُ الــسَّطرَ نَكتُبُــهُ

أن يَــستَفيقَ، فَنُغــضي عــن نَوايانـــا!

فَـــنَحنُ نُخفــــي، وَتُخفينـــا قَـــصائِدُنا

تَحــتَ الرُّمــوزِ.. وَنَنــساها وَتَنــسانا!

سَـــبعينَ عامـــاً طَوَينـــا نُـــستَفَزُّ دَمـــاً

فَـــــتَملأُ الأرضَ أرحامـــــاً مَنايانـــــا

يَلِـــدنَ لِلثَّـــأرِ أزكـــى وارِثـــي دَمِنـــا

إذ نحـــنُ فيهـــا ظُبـــاً أُلبِـــسْنَ أكفانـــا!

تَبقـــــى القبـــــورُ وِلاداتٍ مؤَجَّلَـــــةً

مـــادامَ فيهـــا كِبـــارُ الهَـــمِّ سُـــكَّانا!

سَـبعينَ عامـاً، وَتَـدري الـسُّوحُ أجمَعُهـا

أنَّـــا أقَمنـــا بِجُـــرفِ المَـــوتِ مَرســـانا

أبهَـــى أُوَيلادِنـــا كـــانوا بِهـــا شُـــهُباً

تَهـــوي وأركانُهـــا تَهتَـــزُّ أركانـــا

والآنَ صِـــرنا نَخـــافُ الحَـــرفَ نَكتُبُـــهُ

وَنَتَّقـــي قَبـــلَ كـــلِّ النَّـــاسِ قُربانـــا!

يـا لَيـتَ تلـكَ الـسِّنينَ الغُـرَّ مـا سُـقيَتْ

وليـــتَ ذاكَ النَّزيـــفَ المُـــرَّ مـــا كانـــا!

يـــا سَـــيِّدي البَـــدَويَّ الكَـــربُ زَلزَلَنـــي

هَـــبْ هـــذِهِ الكَلِمـــاتِ العُـــرْجَ سِـــيقانا

لَعَلَّنـــي بِـــشَرايِيني، علـــى عَرَجـــي

أُقــيمُ منهــا لِــبَعضِ النَّــاسِ ميزانــا

أقــولُ لِلمُحْــدِقينَ الآنَ بــي عَرَبــاً

أخـــزاكُمُ اللّهُ أعمامـــاً وإخوانــــا

بلادُكُـــم كُلُّهـــا حُـــزَّتْ حَناجِرُهـــا

ومـــا تَزالـــونَ لِلجَـــلاَّدِ أعوانـــا!

أقــولُ إنَّ بَنــيكُم يَــسألونَ غَــداً:

آبــاؤهُم أيــنَ كــانوا مِــن رَزايانــا؟

مــاذا نَقــولُ لهُــم؟.. كــانوا سَماسِــرَةً

لِلمُعتَــدي؟.. بِــأخَسِّ البَيــعِ أثمانــا؟!

مــاذا نقــولُ؟.. غزَتْنــا مِــن مَنــازِلِكُم

هــذي الأفــاعي التــي هِيضَتْ بمأوانــا؟

وأنَّكـــم، لا يَبِـــلُّ اللّهُ ريقَكُمـــو

بيـــوتُكُم صِـــرْنَ لِلغـــازينَ أوطانـــا؟

وأنَّ مَجمَــــرَةً شَــــعوا مَـــــداخِنُها
مِـــن كـــلِّ أبيـــاتِكُم يَنفُـــثْنَ دُخَّانـــا
غَــداً تُــشَبُّ بــأرضِ العُــرْبِ أجمَعِهــا
وَتَعتَلـــي شَـــفعَةَ الإســـلامِ نيرانـــا؟
مـــاذا نَقـــولُ إذا كانَـــت كـــرامَتُكُم
تَبكي على قَدْرِها مِن فَرْطِ ما هانا!
صِــرتُم تَغــيظُ أذَلَّ النَّــاسِ ضِــحكتُكُم
مـا قِيـلَ عَـن واحِـدٍ مِـن بَيـنِكُم: خانـا!
كأنَّهـــا نُكتَـــةٌ تُستَـــضحَكونَ بِهـــا
هَــل أصــبَحَتْ لُغَــةُ الإذلالِ إدمانـــا؟!
أم زادَ قَـــدْرُكُمو في الـــذُّلِّ مَرتَبَـــةً

إذ صِرتُم الآنَ خُدَّاماً وعُبدانا؟!

يا سَيِّدي عُذرَ صَوتي أنْ يَمُجَّ دَماً
ديوان المراثي - م ١٠
صِرنا نُجَدِّفُ حَدَّ الكُفْرِ أحيانا

فَأيُّ أستارِنا لِلآنَ ما هُتِكَتْ؟
وأيُّ أقطارِنا لِلآن ما عانى؟

ها ساحَةُ العُربِ والإسلامِ مَذبَحَةٌ
وَها دِمَشقُ تُباكي الآنَ بَغدانا

صَرْحٌ هَوى لا نَخَونا فيهِ مُعتَصِماً
ولا نَدَبنا، ولو بالهَمسِ، مَروانا

ولا صَرَخنا كَما المَطعونُ يَصرخُ مِن
أعماقِ طَعنَتِهِ كِبْراً ونُكرانا

لكنْ نُنَمِّقُ حَدَّ اللَّمعِ صَرخَتَنا

وَقَــد نُرَقِّــقُ حَــدَّ الــدَّمعِ شَــكوانا

صــرنا أذَلَّ الــورى يَبــري عَــصاهُ لَنــا
ونحـــنُ نَبـــسِمُ إشـــفاقاً وإذعانـــا
أفــديكَ يــا سَــيِّدي إذ قلــتَ مُنــذَبِحاً
[تَــأنَّقَ الــذُّلُّ حتــى صــارَ غُفرانــا!]

يــا سَــيِّدي البَــدَويَّ الآنَ يَــشفَعُ لــي
هــذا النَّزيــفُ بــأن آتيــكَ ظَمآنــا
أقــولُ جَفَّــتْ ميــاهُ العُــرْبِ أجمَعُهــا
وأنـــتَ أحفَلُهـــا بالمـــاءِ وِديانـــا
فَهَــبْ فَمــي رَشــفَةً ممَّــا زَخَــرتَ بــهِ
مَــدى حَياتِــكَ أنهــاراً وَغُــدرانا

لَعَلَّنـــي، وَلَظـــى بغــدادَ يَنظــرُ لـــي
أجـري ولــو جَـدوَلاً يٖ جَمــرِهِ الآنــا

لَعَـــلَّ صَـــوتيَ يَعلـــو يٖ مَنائِرِهـــا
بِــبَعضِ صَــوتِكَ إنجــيلاً وقُرآنــا

يُقَبِّـــلُ النَّـــاسَ إنـــساناً فَإنـــسانا
وَيَحــضُنُ الــدُّورَ أبوابــاً وَجُــدرانا

يَقــولُ دَفقَــةُ مــاءٍ مِــن دِمَــشقَ أتَــتْ
تَــسقيكُم الآنَ عَطــشاناً فَعَطــشانا

تُبَلــسِمُ الــرُّوحَ حتــى تَــستَفيقَ بهــا
تلــكَ المــروءاتُ غَنَّــاهُنَّ أزمانــا

إذ ذاكَ يــا سَــيِّدي يَغفــو بِأعيُنِنــا
مُحَمَّــدُ بــنُ سُــلَيمانٍ سُــلَيمانا!

* * *


الهيئة العامة
السورية للكتاب

هَبها دُعاءكَ

إلى روح الشاعر الكبير السيد مصطفى جمال الدين .

ألقيت في دمشق في الاحتفال بالذكرى الثانية عشرة لرحيله .


الهيئة العامة
السورية للكتاب

هَبْهـــا دَعـــاءَكَ، فَهـــيَ لا تَتَـــذكَّرُ

مِن فَرْطِ ما اشتَبَكَتْ عليها الأعْصُرُ(*)

وَأعِـــدْ نِـــداءَكَ مَـــرَّةً أُخـــرى لَهـــا

فَلَعَـــلَّ عَبْرَتَهـــا بِـــهِ تَتَكَـــسَّرُ

وَلَعَلَّهـــا، وَهـــيَ الذَّبيحَـــةُ، سَـــيِّدي

بِمَهيـــبِ صَـــوتِكَ عُرْيُهـــا يَتَـــدَثَّرُ!

(*) في المطلع إشارة إلى قصيدة (بغداد) للسيد مصطفى جمال الدين: بغدادُ ما اشتبكت عليكِ الأعصُرُ.

وَلَعَـــلَّ مَـــن وَثَبُـــوا علـــى حُرُماتِهـــا

نَــــــزَواتُهُم بِجَلالِـــــهِ تَتَعَثَّـــــرُ

هَبْهـــا جَمـــالَ الـــدِّينِ صَـــوتَكَ حانيـــاً

يَعلـــو، فَيَخـــشَعُ مِـــن تُقـــاهُ المِنبَـــرُ!

فَعَســـى مَـــسامِعُهُم، وبَعـــضُ قلـــوبِهِم

تَنـــدَى بِـــهِ مِـــن قَبْلِمـــا تَتَحَجَّـــرُ

وَعَـــساكَ تُـــدرِكُ قَطـــرَةً مِـــن مائِهـــا

أو نَخلَـــةً يَبِـــسَتْ تَعـــودُ، فَتُثمِـــرُ!

وَلَعَـــــلَّ طاعِنَهـــــا، وأنــــتَ تَهُـــزُّهُ

يَـصحُو، فَيَـسقُطُ مِـن يَدَيـهِ الخِنجَـرُ!

بغـــدادُ أُختُـــكَ مُـصطفى، فَـــأقِمْ لَهـــا

أنـــتَ الــــصَّلاةَ، لَعَلَّهـــا تَتَـــأثَّرُ

بِعَميــقِ وَجْــدِكَ.. عَــلَّ فيْ شُــطآنِها

جُرُفــاً تُلامِـــسُهُ فَـــلا يَتَفَطَّـــرُ!

فَلَقَـــد عَهِـــدتُكَ والمُـــروءَةُ غَيْمَـــةٌ

فيْ صَــوتِكَ الحــاني تَهِــلُّ وَتُمطِــرُ!

تَــسقي الهَــوى.. يــا رُبَّ عَوْسَــجَةٍ بِــهِ

بَقِيَــتْ طِــوالَ حَياتِهــا تَخــضَوضِرُ!

صِــفةُ «الجَميــلِ» كــأنَّ كــلَّ حُروفِهــا

تُنْمــى إلَيــكَ، وكُلَّهــا بِــكَ تُزْهِــرُ!

وَجْهــاً، وأخلاقــاً، وَعُمْــقَ مُــروءَةٍ

وَتُقــىً.. وأعْظَمُهُــنَّ أنَّــكَ تَأسِــرُ

بِوَديـــعِ طَبْعِـــكَ، حَــدَّ أنَّ مَحَبَّــةً

تَنــسابُ مِــلْءَ الــرُّوحِ حَيْــثُ تؤَشِّــرُ!

عُــذراً أبــا حَــسَنٍ.. هُمــوميَ جَمَّــةٌ
وَوَريــقُ غُـصْنِكَ رغـمَ نَأيِـكَ أخـضَرُ

وأخـافُ مِـن وَجَعـي عليـهِ فَقـد مَـضَتْ
عــشرونَ عامــاً بَينَنــا تَتَحَــسَّرُ

أنَّــا أضَــعْنا في الأســى أعمارَنــا
والُحــزنُ في أعماقِنــا يَتَجَــذَّرُ

لَــم نَلتَفِــتْ لِلمُحْــدِقاتِ بِبَيْتِنــا
والُمحــدِقينَ بِــهِ، وأيــنَ تَــستَّروا

لَـم نَـسأل الأبـوابَ عَـن أقفالِهـا
لَـم نَـدْرِ مــاذا خَلفَهُــنَّ يُــدَبَّرُ

وَإذا بِنــا، في لَيلَــتَينِ، مُباحَــةٌ

حَتَّــى مَحارِمُنـــا لِمَـــن يَتَـــسَوَّرُ!

أمَّـــا الـــدِّماءُ، فَلَـــو وَصَــفْتُ أقَلَّهـــا
لَجَـرَتْ دُموعُـكَ فِي ضَـريحِكَ تَزخَـرُ!

هـــذا دَمُ الفُقَـــراءِ يَنــزِفُ مُـــصطفى
وَفَقيـــرُهُم يَبكـــي عليـــهِ الأفقَـــرُ!
هـــذا دّمُ العُلَمـــاءِ.. مَـــن أحِبَّتَهُم
ذُبِحُــوا علــى مَــرأى الأنــامِ وَسُــفِّروا!
وَدَمُ الَّـــذينَ كَتَبْـــتَ عـــنهُم أنَّهُـــم
بَنَــوا الحَـضارَةَ فِي العــراقِ، وَعَمَّــرُوا
دَمُ هـــؤلاءِ يَـــسيلُ، لا دَمُ مَـــن غَـــزا
وَحِــــذاؤهُ بِرِقابِنـــا يَتَـــأمَّرُ!

يــا سَــيِّدي، بغــدادُ حتــى شَمــسُها

سَــــوداءُ مِمّـــا وَجْهُهـــا يَتَعَفَّــــرُ!

لا ماؤهــــا يَنــــسابُ، لا ظَلْماؤهــــا

تَنجــــابُ.. لا إعــــسارُها يَتَيَــــسَّرُ

أمّــــا مَواسِــــمُ شِــــعرِها فَجَميعُهــــا

مِــن بَعْــدِ صَــوتِكَ عــارِضٌ لا يُــذكَرُ!

عُــذراً أبــا حَــسَنٍ، وَمِثْلُــكَ عــاذِرٌ

لُغَتــي علــى وَجَعــي، وَمِثلــيَ يُعــذَرُ

إنَّــا تَقاسَــمْنا التَّــشَرُّدَ.. عِــشتَهُ

قَبْلــي، وَهــا أنَــذا بِــهِ أتَعَثَّــرُ

لَــنْ أدَّعــي أنِّــي صَــبورٌ في الأذى

بَعــضُ الأذى مِــن كُــلِّ صَــبْرٍ أكبَــرُ!

لكنَّـــــهُ وَطَنـــــي يُهَيَّـــــأُ نَعْــــشُهُ

لِيَــصيرَ أوطانــاً تَــضيعُ وَتُطْمَــرُ

مِــن أجْـلِ مَــن ذُبِـحَ العِـراقُ، وأهلُــهُ

في كــلِّ أرجــاءِ البَريَّـــةِ بُعثِــروا؟

مِــن أجْـلِ مَــن مليــونُ طِفــلٍ شُــرِّدوا

وَحَــدائقُ الــسَّرَطانِ فــيهِم تُزْهِــرُ؟!

مِــن أجْـلِ مَــن يــا سَــيِّدي آباؤنــا

وَصِــغارُنا مِــن كــلِّ بَيــتٍ هُجِّــروا؟

كُــلٌّ بـــأرضٍ.. لا أبـــا لأبيهِمُـــو

اليابِــساتُ نَــأتْ بِهِــم والأبحُــرُ

وَلِمَـــن بَنـــادِقُ أهلِنـــا وَنِــصالُهُم

بَعــضٌ علــى أعنــاقِ بَعــضٍ تُــشهَرُ؟

أفَهـــذهِ لُغَـــةُ العَدالَـــةِ مُـــصطَفى

جـــاءوا بِهـــا لِيُقَوِّمـــوا، وَيُحَـــرِّروا؟

لِتَنـــامَ إســـرائيلُ مِـــلْءَ جفونِهـــا؟

وَكلابُهـــا في أرضِـــنا تَتَبَختَـــرُ؟

لِتُقـــيمَ أمريكـــا بَعُقـــرِ بيوتِنـــا

وَنَظَـــلُّ نحـــنُ لَهـــا خِرافـــاً تُنحَـــرُ؟

أفَلَـــم يَكُـــنْ إلا نَزيـــفُ دِمائِنـــا

سُـقيا لِكـي يَنمـو الخَـرابُ الأكبَـرُ؟!

عَفْـــوَ ابتِـــسامَتِكَ التـــي أدري بِهـــا

حَتَّـــى بِأقـــسى المُوجِعـــاتِ تُنَـــوِّرُ

أنـــتَ الإمـــامُ الـــسَّمْحُ، والعَلَـــمُ الـــذي

أبَــداً مَعَــــالِمُ وَجْهِــهِ تَستَبــــشِرُ

مــــــا راءَهُ مَــــــن راءَ، فِي أوجاعِــــــهِ

إلا، عَلَــــى أوجاعِـــــهِ، يَتَنَــــدَّرُ!

يــا صــاحبَ القَلَــمِ الأُحِــسُّ كأنَّـــهُ

تَبكــي الــسُّطورُ عَلَيــهِ وَهــوَ يُــسَطِّرُ

مِــن فَــرْطِ مــا يَبْــري حُــشاشَتَهُ بِهــا

أرأيتُمــــو قَلَمــــاً بِحَــــرفٍ يؤسَــــرُ؟!

لِلَّـــــهِ دَرُّكَ مُـــــصطَفى، وَمُبــــارَكٌ

قَبــــرٌ حَــــواكَ، وإنْ تَكُــــن لا تُقبَـــرُ!

* * *


الهيئة العامة
السورية للكتاب



في رحاب الحسين

١٩٩٥


الهيئة العامة
السورية للكتاب

قَدِمتُ، وعَفوَكَ عن مَقدَمي

حَسيراً، أسيراً، كسيراً.. ظَمي

قدمتُ لأُحرِمَ في رَحبَتَيك

سَلامٌ لِمثواكَ من مَحرَمِ!

فَمُذْ كنتُ طفلاً رأيتُ الحسين

مناراً إلى ضوئِهِ أنتَمي

ومُذ كنتُ طفلاً وجَدتُ الحُسين

مَلاذاً بأسوارِهِ أحتمي

ومُــذْ كنــتُ طِفــلاً عرَفــتُ الحُــسين

رِضـــاعاً.. ولـــلآن لـــم أُفطَـــمِ

سَـــلامٌ عليـــكَ فأنـــتَ الـــسَّلام

وإن كنـــــتَ مُختَـــــضِباً بالـــــدَّمِ!

وأنـــتَ الـــدَّليلُ إلـــى الكبريـــاء

بمـــا ديـــسَ مـــن صَـــدرِكَ الأكـــرَمِ!

وإنَّـــكَ مُعتَـــصَمُ الخـــائفين

يـــا مَـــن مِـــنَ الـــذَّبحِ لـــم يُعـــصَمِ!

لقـــد قلـــتَ للـــنَّفسِ: هـــذا طريقُـــكِ

لاقـــي بِـــهِ المـــوتَ كـــي تَـــسلَمي

وخُـــضتَ وقـــد ضُـــفِرِ المـــوتُ ضَـــفراً

فمـــا فيـــه للـــرُّوحِ مِـــنْ مَخـــرَمِ

ومـــا دارَ حولَـــكَ، بَـــل أنـــتَ دُرْتَ

علـــى المـــوتِ في زَرَدٍ مُحكَـــمِ

مِـــن الـــرَّفضِ والكبريـــاءِ العظيمـــةِ

حتـــى بَـــصُرتَ، وحتـــى عَمِـــي

فَمَـــسَّكَ مـــن دونِ قَـــصدٍ فمـــات

وأبقـــاكَ نجمـــاً مـــن الأنجُـــمِ!

ليـــومِ القيامـــةِ يَبقـــى الـــسُّؤال

هـــل المـــوتُ في شَـــكلِهِ المُـــبهَمِ

هـــو القَـــدرُ المُبـــرَمُ ألـــلا يُـــرَدُّ

أم خـــادمُ القـــدَرِ المُبـــرَمِ؟!

ســـلامٌ عليـــكَ حبيـــبَ النَّبـــيِّ

وبُرعُمَـــهِ.. طِبــتَ مـــن بُــــرعُمِ

حَمَلْـــتَ أعـــزَّ صِـــفاتِ النَّبـــيّ

وَفُــــزتَ بمِعيــــارِهِ الأقـــــوَمِ

دِلالَــــــةَ أنَّهُمـــــو خَيَّـــــروكَ

كمـــا خَيَّـــروهُ، فلـــم تُـــثْلَمِ

بـــل اختـــرتَ موتَـــكَ صَـــلْتَ الجَـــبين

ولـــم تَتَلَفَّـــتْ.. ولـــم تَنـــدَمِ

ومـــا دارتِ الـــشَّمسُ إلاّ وأنـــتَ

لِلألائِهـــا كـــالأخِ التَّـــوأمِ!

ســـلامٌ علـــى آلِـــكَ الحُـــوَّمِ

حوالَيـــكَ في ذلـــكَ المَـــضرَمِ

وَهُـــم يَـــدفعون بِعُـــري الـــصُّدور

عـــن صَـــدرِكَ الطَّـــاهرِ الأرحَـــمِ

وَيحتَـــــضنونَ بِكِبْـــرِ النَّبـــيِّين

مـــا غـــاصَ فـــيهِم مِـــن الأســـهُمِ

سَـــلامٌ علـــيهِم.. علـــى راحَـــتَين

كشمـــــسَين في فَلَـــك أقـــتَمِ

تَـــشُعُّ بطونُهُمـــا بالـــضِّياء

وتَجـــري الـــدِّماءُ مِـــن المِعـــصَمِ!

سَـــلامٌ علـــى هالـــةٍ تَرتَقـــي

بلألائِهـــا مُرتَقـــى مَـــريَمِ

طَهـــورٍ، مُتوَّجَـــةٍ بـــالجَلال

مُخَـــضَّبَةٍ بالـــدَّمِ العَنـــدَمِ

تَهـــاوَت فـــصاحةُ كـــلِّ الرِّجـــال

أمـــــامَ تَفَجُّعِهــــــا المُلهَــــــمِ

فراحَـــتْ تُزعـــزعُ عَـــرشَ الـــضَّلال

بـــــصوتٍ بأوجاعِــــــهِ مُفعَـــــمِ

ولـــو كـــان لـــلأرضِ بعـــضُ الحَيـــاء

لَمــــــادَت بأحرُفِهــــــا اليُــــــتَّمِ!

سَـــلامٌ علـــى "الحُـــرِّ" في ســـاحتَيك

ومَقحَمِــــــهِ، جَـــلَّ مِـــن مَقحَـــمِ

سَـــلامٌ عليـــهِ بحجـــمِ العَـــذاب

وحَجـــــمِ تَمَزُّقِــــــهِ الأشــــــهَمِ

سَـــلامٌ عليـــهِ.. وَعَتْـــبٌ عليـــه

عَتْـــبَ الـــشَّغوفِ بـــه المُغـــرَمِ؟!

فكيـــفَ، وفي ألـــفِ سَـــيفٍ لُجِمـــتَ

وَعُمــرَكَ يــا "حُــرُّ" لــم تُلجَــمِ؟!

وأحجمْـتَ كيـف..؟.. وفي ألـفِ سـيف

ولــو كنـــتُ وحـــديَ لــم أُحجِـــمِ

ولــــم أنتَظــــرْهُم إلـــى أن تَـــدور

عليـــكَ دوائـــرُهُم يـــا دَمــــي

لَكنـــتُ انتزَعـــتُ حــدودَ العـــراق

ولــــو أنَّ أُرســـانَهم في فَمــــي!

لَغيَّــــرتُ تـــأريخَ هــــذا التُّـــراب

فمـــا نـــالَ منـــهُ بنـــو مُلجَـــمِ!

ســلامٌ علـــى "الحُـــرِّ" وَعيـــاً أضـــاء

وزرقـــاءَ مـــن ليلِهـــا المظلِـــمِ

أطلَّـــتْ علـــى ألـــفِ جيـــلٍ يَجـــيء

وغاصَـــتْ إلـــى الأقـــدَم الأقـــدَمِ

فأدركَــت الـــصَّوتَ.. صــوتَ النُّبـــوَّةِ

وهـــــوَ علـــــى موتِـــــهِ يَرتَمـــــي

فمـــا ســـاوَمَتْ نفـــسَها في الخَـــسار

ولا ســـــــاوَمتْها علـــــى المَغـــــنَمِ

ولكـــنْ جَثَـــتْ وجفـــونُ الحـــسين

تـــــرفُّ علـــــى ذلـــــك المَجـــــثَمِ

ويـــا ســـيِّدي يـــا أعـــزَّ الرِّجـــال

يـــا مُـــشرَعاً قَـــطُّ لـــم يُعجَـــمِ

ويـــا بـــنَ الـــذي سَـــيفُهُ مـــا يـــزال

إذا قيـــلَ يـــا ذا الفقـــار احـــسِمِ

تُحِـــسُّ مـــروءةَ مليـــونِ ســـيفٍ

سَـــرَتْ بــــين كفّـــكَ والمَحْـــــزَمِ!

وتُوشـــــكُ أن.. ثمَّ تُرخـــــي يَـــدَيك

وتُنكِـــــرُ زعمَـــــكَ مِـــــن مَـــــزعَمِ

فــــأين ســـــيوفُكَ مـــــن ذي الفَقـــــار

وأينَـــــكَ مـــــنْ ذلـــــكَ الــــضَّيغَمِ؟!

عليٌّ.. عَلـــيَّ الهُـــدى والجهـــاد

عَظُمـــتَ لـــدى اللّهِ مـــن مُـــسلمِ!

ويـــا أكـــرَمَ النَّـــاسِ بعـــدَ النَّبـــيِّ

وَجهـــاً.. وأغنـــى أمـــريءٍ مُعـــدَمِ!

مَلَكـــتَ الحيـــاتَين دُنيـــا وأُخـــرى

ولـــيسَ ببيتِـــكَ مِـــن درِهَـــمِ!

فِـــدىً لخـــشوعِكَ مـــن نـــاطقٍ

فـــــداءٌ لجوعِـــــكَ مـــــنْ أبكَـــــمِ!

قـــــدِمتُ، وعفـــوَكَ عـــــن مَقـــــدَمي
مَزيجــــاً مِـــــن الـــــدَّمِ والعَلقَـــــمِ
وبـــــي غَـــــضَبٌ جَـــلَّ أن أدَّريـــــهِ
ونَفـــــسٌ أبَـــــتْ أن أقـــولَ اكظِمـــــي
كأنَّـــــكَ أيقظـــــتَ جُـــــرحَ العـــــراقِ
فتيَّـــــارُهُ كلُّـــــهُ في دمـــــي!
ألَـــــستَ الـــــذي قـــــالَ للبـــــاتراتِ
خُـــــذيني.. وللـــــنَّفسِ لا تُهزَمـــــي؟
وطـــــافَ بـــــأولادِهِ والـــــسّيوف
عَلَـــــيهم ســـــوارٌ علـــــى معِـــــصَمِ

فَـــــضَجَّت بأضـــــلُعه الكبريـــــاء

وصـــــاح علــــى موتِـــهِ: أقـــدِمِ!

كـــذا نحـــنُ يـــا ســـيّدي يـــا حُـــسين

شِـــدادٌ علـــى القَهـــرِ لـــم نُـــشكَمِ

كـــــذا نحـــــنُ يـــــا آيـــــةَ الرَّافـــــدَين

سَـــــــواتِرُنا قَـــــطٌّ لـــــم تُهـــــدَمِ

لَـــئنْ ضـــجَّ مـــن حولِـــكَ الظَّـــالمون

فإنّـــــا وُكلِّنـــــا إلـــــى الأظلَـــــمِ

وإن خانـــكَ الـــصَحْبُ والأصـــفياء

فقـــد خانَنـــا مَـــن لَـــهُ نَنتَمـــي!

بنـــو عمِّنـــا.. أهلُنـــا الأقرَبـــون

واحِـــــدُهُم صـــــارَ كـــــالأرقَمِ

تَـــدورُ علينـــا عيـــونُ الـــذِّئاب

فنَحتــــارُ مِـــنْ أيِّهــــا نحتمــــي!

لهـــذا وقَفنـــا عُـــراةَ الجِـــراح

كبــــاراً علـــــى لؤمِهــــا الألأمِ

فيـــا ســـيّدي، يـــا سَـــنا كـــربلاء

يُلألـــــيءُ في الحَلَـــــكِ الأعـــــتَمِ

تَـــــشُعُّ منــــــائرُهُ بالــــــضِّياء

وتَزفُــــــرُ بـــــالوجَعِ المُلهَـــــمِ

ويـــا عطَـــشاً كـــلُّ جَـــدْبِ العـــصور

سَـــــيَنهَلُ مِـــــنْ وِردِهِ الزَّمـــــزَمِ

ســـأطبَعُ ثغـــري علـــى موطِئَيـــك

ســـلامٌ لأرضِـــكَ مـــن مَلـــثَمِ!

* * *


الهيئة العامة
السورية للكتاب



يا ماليء الدنيا دماً ومروءة


الهيئة العامة
السورية للكتاب

هَتَـفَ البَـشيرُ فَقَبِّـل ابنَـكَ يـا عَلـي

بـــالمعنَيَين: مُقَبَّــــلٍ ومُقَبَّـــــلِ

تَـــدري، ويَـــدري اللّٰهُ قَبْــلُ، وَجَـــدُّهُ

إيحـــاءَ مَولِــدِهِ بيَـــومِ المَقتَـــلِ!

طَرَفــا هِــلالٍ قَوسُــهُ عَــرْضَ الــسَّما

في الـــشَّمسِ ذاك، وذا بلَيــلٍ ألْيَــلِ

طَرَفــا هِــلالٍ مثــلِ سَــيفٍ هائــلٍ

شَـطَرَ الـسماءَ، وظَـلَّ يَـصرخُ: يـا هَلـي

بِـدَمي فَـصَلَتُ اللَّيـلَ عـن بَلَـجِ الـضُّحى
كـي يَـستقيمَ، فيـا سـيوفُ تَعَجَّلـي!

هتَـفَ البـشيرُ، فَقَبِّـلْ ابنـكَ يـا عَلـي
هَنِّـيءْ بـهِ الزَّهـراءَ فهـوَ ابـن الـوَلي
هـوَ مَـنْ علـى شَـفَتَيهِ رَفَّ مُقَـبِّلاً
ثغـرُ النَّبـيِّ.. حَنـا علـى الوَجـهِ الخَلـي
وتكـادُ أشـرَفُ دمعـةٍ مـن عينِـهِ
تَهمـي، ولكـنْ عينُـهُ لـم تَهمِـلِ
جَـدٌّ، ولكـنْ أيُّ جَـدٍّ مُرسَـلٍ
سِـبْطٌ، ولكـنْ سِـبْطُ جَـدٍّ مُرسَـلِ
وهـو الحـسين، شـهيدُ أشـرَفِ وَقفَـةٍ

هــذا الزَّكــيُّ الأنبَــلُ بــنُ الأنبَــلِ

هــذا الــذي أسَـرَ الزَّمــانَ بموتِــهِ

وأقــامَ عــن أسْــرِ الزَّمــانِ بمَعــزَلِ!

يــا مــالئَ الــدُّنيا دمــاً ومــروءةً

ومُكــبَّلاً في زِيٍّ غيـــرِ مُكبَّـــلِ

دارَتْ عليــه الــدَّائراتُ ولــم يكُــن

فَــرْداً، ولا كــان الحُــسينُ بــأعزَلِ

كانــتْ حُــشاشةُ جَــدِّهِ في صَــدرِهِ

وَمِــن اقتــدارِ أبيــهِ كــان بجَحفَــلِ

لكنَّــهُ القــدَرُ العظــيمُ أرادَهــا

عــصماءَ لــم تُتــأَمْ، ولــم تَتمَهَّــلِ!

فاختارَهــا، واختــارَهُ قَــدَراً لهــا

مُتَبتِّــــلٌ يـــــسعى إلـــــى مُتَبَتِّـــــلِ!

حتـــــى إذا التَقَيـــا تَهيَّـــــبَ مَوتُـــــهُ

فهــوى الحــسينُ عليــه مثــلَ الأجْــدَلِ!

هـــي ميتـــةٌ عِــدْلَ الحيــاةِ بأسْـــرِها

أفَـــلَ الزَّمـــانُ ونجمُهـــا لـــم يأفَـــلِ!

يــا يــومَ مــيلادِ الحــسين، ولــم نَجِــدْ

إلاكَ مــــــيلاداً بمــــــوتٍ يَختَلـــــي

فيكـــونُ هــــذا ذا، وتُـــصبحُ ميتــــةٌ

كـــولادةٍ، لكـــن بطَعـــمِ الحَنظـــلِ!

حتـــــى تكـــادَ الأرضُ في مـــيلادِهِ

تبكـــي، وتُعلِـــنُ زهوَهـــا في المقتَـــلِ!

هـــو مولـــدُ القـــيَمِ العظيمـــةِ كلِّهـــا

ونزولُهـــا بـــالموتِ أعظـــمَ مَنـــزِلِ!

قُـــلْ للنُّجـــومِ بكـــربلاءَ تَرجَّلـــي

وعلـــى مَنـــائِرِهِ المَهيبـــاتِ انزِلـــي

وَخُـــذي سَـــنىً منهـــا لألـــفٍ قـــادمٍ

وخُـــذي دموعـــاً للمَجَّـــرةِ واهطِلـــي

ألفـــاً، وقـــولي للعـــصورِ جميعِهـــا

هيهـــات.. أنـــتِ بمثلِـــهِ لـــن تَحبَلـــي!

مِـــن أيـــن تَجتَمـــعُ النبـــوَّةُ مـــرَّةً

أخـــرى بميقـــاتِ الـــسَّماءِ المُنـــزَلِ؟!

يـــومَ الحـــسين، وإذ أُنـــادي يومَـــهُ

مـــيلادُهُ ورَحيلُـــهُ يَثِبـــانِ لـــي!

جنِّحَـــيْ سَـــنىً ودمٍ تُحلِّـــقُ فيهمـــا

نفـــسٌ إلـــى فَلَـــكِ النُّبـــوَّةِ تَعتَلـــي

للّهِ دَرُّكَ مـــــن وليـــــدٍ باســـــلٍ

للّه دَرُّكَ مـــــن شـــــهيدٍ أبـــــسَلِ!

وَلِـــدَ الحـــسينُ فيـــا عيـــونُ تَكَحَّلـــي

منـــهُ، ويـــا كـــلَّ الحَنـــاجرِ هَلِّهِلـــي

ثمَّ اجعَلـــي الأجفـــانَ غَـــيمَ مَـــدامعٍ

وَتـــذكَّري عطَـــشَ الحُـــسينِ فبَلِّلـــي!

وَلِـــدَ الـــذي لـــو جاذَبَتْـــهُ ضـــياءَهُ

شـــمسُ الـــسَّماءِ لَقيـــلَ للـــشَّمس اخجَلـــي!

وَمَـــن المـــروءةُ بَيـــدرٌ في بيتِـــه

ولكـــلِّ أهـــلِ الأرضِ حَبَّـــةُ خَـــردَلِ!

وُلِــدَ الــذي دمُــهُ أعــزُّ دمٍ جــرى

لــولا أبــوهُ.. تَبــارَكَ اســمُكَ يــا علــي!

أنجَبتَــــهُ للمكرُمــــاتِ جميعِهــــا

وســـــقَيتَهُ مــــنهنَّ نفــــسَ المَنهَــــلِ

ورآكَ فُــزْتَ بهــا، ففــازَ بهــا فتــىً

بورِكــتَ مــن أسَــدٍ هِزَبْــرٍ مُــشبِلِ!

يــا يــومَ مــيلادِ الحــسينِ وَهبْــتَ لــي

شَــرفَ الــدّخولِ إليــه أجمَــلَ مــدخَلِ

أن ألتقيــــهِ ولــــو ليــــومٍ واحــــدٍ

فَجْـــراً بهيّـــاً لا دمــــاءَ مُجَنــــدَلِ!

أفكلَّمـــا ذُكِـــرَ الحُـــسين تَقطَّعَـــتْ

أحــشاؤنا وَجَعــاً وصِــحنا: يــا علــي؟

وكـــأنَّ أوجـــاعَ العـــراقِ جميعَهـــا

إرثُ الحـــسين فثاكِـــلٌ عـــن أثْكَـــلِ!

يـا سـيّدي، نفـسي فِـداكَ، أجِـزْ فَمـي

وبغَيـــرِ هـــذا الـــدَّمعِ أنطِـقْ مِقْـوَلي

أنـــا راجـــفٌ جَزَعـــاً فثَبِّـــتْ لحظَـــةً

قلمـــي علـــى وَرَقـــي، وَثَبِّـــتْ أنْمُلـــي

وأمـــلأْ دمـــي فَرَحـــاً، ووجـــداني نَـــدىً

ودَعْ الفُـــــراتَ بمائِـــــهِ المتَوَسِّـــــلِ

يـــسعى إليـــكَ مُكفِّـــراً عـــن ذَنبِـــهِ

ألـــفٌ ونَيِّـــفٌ وهـــو أوجَـــعُ مُهمَـــلِ

وهـــو الفـــراتُ.. لـــو اســـتطاعَ أوانَهـــا

لأتـــاكَ مَفجوعـــاً بمـــاءٍ مُعـــولِ

وهَــوى علــى قَــدَميكَ يَـسقي مــاءَ هُ

مِــن جــسمِكَ البِدمائِـــهِ مُتــسَربِلِ

ليكـــونَ عنـــدَ اللّهِ شـــاهدَ نفـــسِهِ

ويُجيـــبَ لا مُتلَعثمـــاً إن يُـــسألِ!

هتــف البــشيرُ، فيــا خَوافــقُ رَتّلــي

بــالنَّبضِ مــا هتــفَ البــشيرُ، وبَــسمِلي

وبكـــلِّ أرضٍ يـــا مـــروءةُ زَغْـــرِدي

فـــإذا وَصَـــلتِ لِكـــربلاء فـــأعولِي!

* * *


الهيئة العامة
السورية للكتاب



في رحاب النجف الأشرف

١٩٩٢


الهيئة العامة
السورية للكتاب

شَـــرَفٌ لـــيسَ بَعـــدَهُ شَـــرَفُ

أنَّـــكَ الآنَ عَرشُـــكَ النَّجَـــفُ

أيُّهـــا المُـــستَفَزُّ أجنِحَـــةً

في رِحـــابِ الكَـــرَّارِ تَرتَجِـــفُ

شَـــرَفٌ أنَّ كـــلَّ بارقـــة

أو رَفيـــفٍ مِـــن رَهبَـــةٍ يَجِـــفُ

بجَناحَيـــكَ أنَّ خَفقَهُمـــا

لِعلـــيٍّ بالحـــبِّ يَعتـــرِفُ

شَـــرَفٌ لـــيسَ بَعـــدَهُ شَـــرَفُ
أنَّـــكَ الآنَ بَيتُـــكَ النَّجَـــفُ
إنْ تَكُـــنْ قـــد وقفـــتَ مُرتَبكـــاً
فـــالنَّبيُّون هَهُنـــا وَقَفـــوا
أو تَكـــنْ جئـــتَ نازفـــاً فَأقِـــلْ
فـــالنَّبيُّونَ هَهنـــا نَزَفـــوا
وتَواضَـــعْ، فَكـــلُّ أُنْمُلَـــةٍ
هَهنـــا فوقَهـــا دمٌ يَكِـــفُ!
مِـــن علـــيٍّ لليـــومِ هاطلـــةٌ
تَحتَهـــا الرَّاســـياتُ تَنخَـــسِفُ
فاختَـــصِرْ إنْ تَكـــنْ أتَيـــتَ لكـــي

تُعلِـــنَ الحُـــزنَ أيُّهـــا الكَلِـــفُ!

عَجَبــي يــا حــسينُ كيــفَ هُنــا

لـــيسَ يَحمَـــرُّ لَونُـــهُ الـــسَّعَفُ!

كيــفَ تَبقــى الــسَّماءُ صــاحيَةً

هكـــذا، والغـــصونُ تَنعَطِـــفُ

وكــأنْ لــم يَكُــنْ هنــا مَطَــرٌ

دَمُـــهُ عِـــدْلَ بَرقِـــهِ يَلِـــفُ!

تُربَـــةُ الأنبيـــاءِ يَعـــصِمُها

أنَّهـــا الآنَ فـــوقَ مـــا أصِـــفُ

كلَّمـــا أُمْطِـــرَتْ زَهَـــتْ رُطَبـــاً

بَينَمـــا حِمْـــلُ غيرهـــا حَـــشَفُ

سـيِّدي يـا علـيُّ، مَعـذرةً

أنـا مِـن راحَتَيـكَ أرتَـشِفُ

أبلَـغُ القـولِ أنـتَ سَـيِّدُهُ

والـوَرى مِـن نَـداكَ تَغتَـرِفُ

فـإذا مـا وقفـتُ مُـضطَرِباً

فاعـذُرَنْ وَقفَتـي التـي أقِـفُ

أنـا نُـصبَ الجَـلالِ أجمَعِـهِ

لَيتَنـي لـي بِظِلِّـهِ كَنَـفُ

ليـتَ مـاءَ الفُـراتِ يُـصبحُ لـي

أدمُعـاً في ثَـراكَ تَنـذَرِفُ

أيُّهـا الحاسِـرُ الـذي أبَـداً

بِـشِغافِ القلـوبِ يَلتَحِـفُ

أيُّهــــا الجاسِـــــرُ المَـــــضاربُهُ
كـــــلُّ ليــــلٍ بِهِـــنَّ يَنكَـــشِفُ

أيُّهــــا الآسِـــرُ الأسـِـــيرُ تُقـــىً
لــــــــيسَ إلا اللّهِ يَزدَلِـــــــــفُ
هـــوَ فَجــرُ الإســـلامِ.. أعظَمُـــهُ
أنَّـــهُ ذلـــكَ الفَتـــى الأنِــفُ
الـــذي عَنـــهُ فاتِحـــاً يَـــدَهُ
نَزَلَــتْ مِــن سَـمائِها الــصُّحُفُ
والـــذي مِنـــهُ قابِــضاً يَــدَهُ
شَـــعَفاتُ القلـــوبِ تَـــشَعِفُ
والـــذي مِــن دُعائِــهِ انفَطَــرَتْ
بــابُ رَبِّــي، وانجابَــت الــسُّجُفُ

الـــذي لـــو تَمَـــسُّ غَيرَتُـــهُ

جَـبَلاً قلـتُ سـوفَ يَنخَـسِفُ

والـــذي سَـيفُهُ النُّفــوسُ بِــهِ

قبـلَ خَطـفِ العيــونِ

والــــذي إذْ تَلـــوحُ غُرَّتُـــهُ

كـلُّ شـمسٍ فِي الكـونِ تَنكَـسِفُ

هـــوَ فَجـــرُ الإسـلامِ.. لؤلـــؤهُ

آلُـــهُ، والعَـــوالِمُ الـــصَّدَفُ

يـا ابـنَ عَـمِّ النَّبـيِّ لُطْفَـكَ بـي

وأجِزْنـــي، فالليـــلُ يَنتَـــصِفُ

وأنـــا لـــم أزَلْ أرى قَلَمـــي

ويَـــدي والـــسّطورَ ترتَجِـــفُ

أنــا في حَــضرَتَيكَ.. شاخِــصَةٌ

نُـصْبَ عَينــي هــذي، وذي تَــرِفُ

في ضـلوعي.. مُـذْ كُـوِّرَتْ قَفَـصاً

وضـــلوعي عليـــكَ تعتَكِـــفُ!

فَـــأقِلْني إذا كَبَـــوتُ هُنـــا

مِـن خـشوعي.. وتَعـذُرُ النَّجَـفُ!

* * *


الهيئة العامة
السورية للكتاب

يا نَجيَّ اللّٰه!

ألقيت في الاحتفال المهيب الذي أقيم في النجف الأشرف بمناسبة الذكرى الثمانينية للشاعر والفقيه والمجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي في ١٢/١٢/١٩٩٧.

أيُّها المُشْرِفُ من عالي الذُّرا		أُعفُ عنّي واقفاً بينَ يَدَيكَ

بَينَما أنتَ سَماءٌ لا تُرى!		أنا مِن أرضي هُنا أرنُو إليكْ

هكذا طَيفُكَ لي لَيلاً بَدا

مثلَ نَجمٍ لَفَّهُ غَيمُ الرَّدى

وَتَلالا ضَوؤهُ رغمَ المَدى

مالِكاً قلبي، دَرى أو ما دَرى		مالئاً عَيني بِوَمضَيْ مُقلَتَيكْ

أنـا طفـلاً كنـتُ هَيمـانَ علَيـكْ مُنـذُ أن نَبْعُـكَ في قلبـي جَـرى!

مُـذْ «غـزالِ الكَـرخِ والكـأسِ الهَنـي»
وَرَجـا صـاحِبِهِ عبـدِ الغَنـي
«إسْقِني واشـرَبْ أو اشـرَبْ واسْقِني»

مُنذُها، والشِّعرُ يُدنيني إليكْ مانِعاً عن مُقلَتي طَيفَ الكَرى
كيفَ أعتَى لُغَةِ الضّادِ لَدَيكْ تَستَوي نَبْعاً وَتَجري أنهُرا!

يـا نَـدى الحَـرفِ وَيـا حَـرْفَ النَّـدى
وَيَـدَ الحَـقِّ جِهـاداً وَهُـدى
أنـت كنـتَ الـصَّوتَ والـدَّهرُ صَـدى

والمُــروءاتُ نَمَــتْ فِي رَحْبَتَيــكْ ساريات حيثُ مَرقـاكَ سَـرى

أيُّها العابِدُ طـأطِيءْ عارِضَيكْ قَـلَّ أنْ مِثلَهُمـا مَـسَّ الثَّـرى!

يـــا إمـــامَ الحُـــبِّ، ثمَّ الغَـــزَلِ

يـــا مَـــن التَّقـــوى بِـــهِ تَقـــوى وَلِـــي

سَـــيِّدي أفـــديكَ هَـــلاّ قُلـــتَ لـــي

كيـــفَ إذْ تَحنـــي خـــشوعاً يَنحَنـــي خَلفَهُمـــا كـــلُّ الـــوَرى

بَينَمـــا الفِتنَـــةُ تَغـــزو ناظِرَيـــكْ «قَمَـــراً تَمّـــاً، وَظَبيـــاً أعْفَـــرا»!

زَعَمُـــوا أنَّـــكَ لَـــم تَعـــشَقْ، وَلَـــم..

وَهُمُـــو أربـــابُ حَـــرْفٍ وَقَلَـــمْ

تَرِبَـــتْ أقلامُهُـــم.. هــــذا الألَـــمْ

والجَوى هذا الـذي يـ جانِحَيـكْ هـذهِ الأوجـاعُ.. كانَـتْ بَطَـرا!

أمْ هُمـو مـا فَهِمـوا إغـضاءَتَيكْ هــذهِ تَقـوى، وَهــذي خَفَـرا!

مَــن يَقُــلْ عــن سِــربِ غِــزلانٍ سَــني

«يَتَبـــــالَهْنَ وَقَــــد يَعرِفنَنـــــي»

«وَهــــوَ فــــيهِنَّ غَــــضيضُ الأعــــيُنِ»

إنَّ مَن يَرصُدَ ما يـ نَظرَتَيكْ مِـن وُلـوعٍ يـ خُـشوعٍ أُسِــرا

يَفهَمُ الجُرحَ الـذي يـ بُردَتَيكْ يا شَـهيداً يـ الهَوى ما أُجِـرا!

رَحمَــةُ اللّهِ علــى شَــيخي البَــصيرْ

كــانَ لــي في حَيرَتــي نِعــمَ النَّــصيرُ

قــالَ لــي يَومــاً: أتَرضــى أن يَــصيرُ

صـاحِبُ الغُـرِّ الأثيـراتِ لـدَيكَ جاهلاً بالحُبِّ مَقطوعَ العُـرى؟

قلتُ: كلاّ والـذي أوحـى إليـكَ هـوَ أدرى فيـهِ مِـن كـلِّ الـوَرى!

سَــيِّدي، يــا أطهَــرَ النــاسِ يَــدَينْ

وأعَــــفَّ النَّــــاسِ خَفَّاقــــاً وَعَــــينْ

مِــن مَعــاني حَــسَنٍ، أو مِــن حُــسَينْ

مَــلأَ الحُــبُّ تَقيَّــاً جانِحَيــكَ لِيُحِبَّــا شَــرْطَ أنْ لا يُؤسَــرا

إنَّ نِبـراسَ الهَـوى وَقْـفٌ عَليـكَ أنتَ في الحُبِّ تَرى ما لا نَـرى!

أيُّهـــا الـــسَّاهِدُ قَلْبـــاً وَحَـــدَقْ

أيُّهـــا العابِـــدُ وَفَّـــى وَصَـــدَقْ

أيُّهـــا الواصِـــدُ بابـــاً لا يُـــدَقّ

دونَ أنْ يَـــستأذِنَ الـــسَّاعي حَـــذَراً، أو خَفَـــراً، أو بَهَـــرا

فَـــإذا قَبَّـــلَ في حُـــبٍّ يَـــدَيكْ فَكَـــأنْ قَبَّـــلَ كَفَّـــيْ حَيْـــدَرا!

أنـــتَ يـــا شِـــبْهَ عَلـــيٍّ في المِهـــادْ

في تُقـــاهُ، وَإبـــاهُ، والجِهـــادْ

والَّـــذي عَـــوَّدَ عَينَيـــكَ الـــسُّهادْ

إنَّ مِـــن هَيْبَتِـــه في وَقفَتَيـــكْ خاشِـــعاً لِلَّـــهِ أو مُنتَـــصِرا

صُـــورَةً تُـــسْبِغُ مَعنـــاهُ عَلَيـــكْ ســـاجِداً في دَمِـــهِ مُـــدَّثِرا!

هكـــــذا جَــــدُّكَ في أيَّامِـــــهِ

تَـــسطَعُ الـــشَّمسُ علـــى أعلامِـــهِ

وَذُرا مَعْنــــــــاهُ في إســـــــلامِهِ

وَبِمَعنـــاهُ قَرأنـــا صَــفحَتَيكَ فَرَأينــــاكَ بِـــــهِ مُـــــؤتَزِرا

حـــامِلاً آيَتَـــهُ في أصــغَرَيكَ قَلـــبَ لَيـــثٍ وَلِـــساناً أجهَـــرا!

يـــا كَبيـــراً في التُّقـــى والغَـــزَلِ

يــــا نَجــــيَّ اللّهِ مُنـــــذُ الأزَلِ

يـــا بَقايـــا حَـــسَنٍ بَعـــدَ عَلـــي

كلُّ مَن يَصعَدُ مَرقَى قَدَمَيكَ حـامِلاً ضَـوءَكَ قِنـديلَ سُـرى

فَلَقَدْ أنْبَتَ إحدى حُسْنَيَيكْ وَهَجاً في قَلبِهِ أو مَطَرا!

سَيِّدي، يا سَيِّدَ الدُّنيا جَميعا
يا خَضيبَ القلبِ دَمعاً وَنَجيعا
أيُّها الرَّاكِعُ لِلَّهِ صَريعا

أنا إذْ أطرُقُ بابَيْ مَحْبِسَيكْ مَحبِسَ العِلمِ، وَحَبْساً أخطَرا
هوَ حَبْسُ الرُّوحِ في اللهِ لَدَيكْ هكذا القدِّيسُ يَسعى بَشَرا!

هكذا أنتَ عظيمٌ سيِّدي
أيِّدٌ عَن أيِّدٍ عَن أيِّدِ
أنا إذْ أحملُ طِرسي بيَدي

مُنشِداً مِسكينَتي بَينَ يَدَيكْ   مِثلَ مَن يُبْضِعُ تَمراً هَجَرا

فَلأنِّي مُوثَقُ القلبِ لَدَيكْ   فأقِلْني عاثِراً مُعتَذِرا!

أيُّها القلبُ الذي لم يَجِفِ

لِسِوى اللهِ، وَلَم يَرتَجِفِ

سَيِّدي، مِن عُمْقِ أرضِ النَّجَفِ

أرفَعُ الصَّوتَ مِن القلبِ إليكْ   آمِلاً، مُبتَهِلاً، مُستَغفِرا

فَسَلامُ اللهِ مَولايَ عَلَيكْ   ما ظَلامٌ عن صَباحٍ أسفَرا!

هوامش

- كل ما بين الأقواس تضمين من موشحات السيد المجاهد محمد سعيد الحبوبي.

- البصير: هو الدكتور محمد مهدي البصير (رحمه الله) وكان أستاذنا في الأدب في دار المعلمين العالية ببغداد، ورئيس قسم اللغة العربية فيها، وشاعر ثورة العشرين في العراق.

* * *

المحتوى

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٩
عدد الطبع ١٠٠٠نسخة



مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٠

سعر النسخة ١٠٠ ل.س أو ما يعادلها